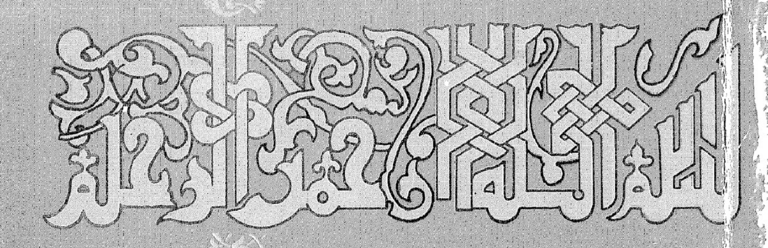


قضايا إسلامية

الذين يُنكرون القُدوة

الدكتور
حسن الشرقاوى

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر
ت ٣٩٤٧٢ اسكندرية

قضايا إسلامية

الذين ينكرون القدوة

دكتور حسن الشرقاوى

١٩٨٤

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ بالإسكندرية

المقـــــدمة ..

انه من غير المشكوك فيه أن كثيرا من المفكرين والكتـــاب المسلمين يتوجسون خيفة من الاقدام على حل المشكلات والقضايا المعاصرة حلا اسلاميا ، وذلك بحسب النص القـــرآنى والسنة المحمدية واجماع علماء الأمة .

وربما يرجع السبب فى تقاعس عرض الحلول الاســلامية فى القضايا والمشكلات المعـــاصرة التى تهم جمــوع المسلمين ، .. ربما يرجع السبب الى الخوف من اتهام المفكرين والعلماء المسلمين بالجمود أو الرجعية أو عدم استخدام الاسلوب العلمى فى حل القضايا المعاصرة .

ولقد أصيب الفكر الاسلامى فى الفترة مابين الخمسينيات الى السبعينيات من هذا القرن ، بنوع من الجمـــود والتقوقـــع نتيجة لتوغل الفكر المادى الجدلى الذى أدى الى تنظيم عمليـــة الفصل بين السياسة والدين بصفة عامة والعلم والدين بصـــفة خاصـــة .

ان علينا أن نواجــه المفاهيم الغــربية والنظم الحيــاتية الأوربية لنبين للنـــاس ، أن هناك خــلافا أساسيا بين النظــامين الرأسمالى والشيوعى ومايتفرع عنها من أنظمة مختلفة نقول هناك خلافا أساسيا وجوهريا بين هذه الأنظمة ومايتفرع عنها وبين النظام الاسلامى أو بمعنى أكثر تحديدا ووضوحا هنـــاك خلافا جوهريا فى العلوم الحيـــاتية مثل الأخلاق والتـــربية والاقتصاد والتشريع وعلم النفس من حيث منهج هذه العلــوم عند الغـــربيين ومنهجهـــا عند العلمـــاء المسلمين المحدثين أو المنهج الاسلامى .

فالاقتصاد الاسلامى يخـــالف فى نظرته الأساسية يخـالف نظرتى الرأسمالى والشيوعى ومايتفرع عنهما من أنظمة مختلفة، كما أن فلسفة الأخلاق الاسلامية تختلف فى أسسها وغايتهـــــا ووسائلها ونظرتها الى الحياة والمجتمع عن فلسفات الأخلاق فى الانظمة والفلسفات البشرية وان كان هناك نوع من الاتفاق فى الفروع أو الجزئيات الا أن الأصول والجواهر جد متباينة .

والأمر كذلك بالنسبة لعلم النفس فهناك اختلاف جوهرى بين نظرة علماء النفس الحديث بعامة،ومدرسة الشخصية بخاصة، وبين علم النفس الاسلامى الذى يبدأ بدراسة النفس من منطلق قرآنى يحمل معنيين وهما التقـــوى والفجـــور لقول عـــز من قائل : ـــ

« ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها »

كما يختلف التشريع الاسلامى عن القـــوانين الوضعية . والتقنينات البشرية اذا يمتاز بالثبات الدائم فى قواعده ، مع وجود مرونة وقدرة لتشمل فروع العلم جميعا ...

وهكذا نجد خلافا واضحا بين المفاهيم والقيم الكبـــــرى وفى السلوك والعلوم الحياتية، بين النظرة الاسلامية،ونظرة العلماء الغربيين المحدثين . ولايمكن بالقـــول أنه يمكن مزج المنهجين المنهج الاسلامى والمنهج الغربى الحديث واذا حدث ذلك تسبب عنه مشاكل وقضايا متعددة ومتناقضات بين حضارة الغـــرب المادية وبين مفاهيم الاسلام التى تجمع بين مطالب الروح والبدن جميعا فى توافق وانسجام .

ان ماأصاب بعض المســـلمين المثقفين ثقافة غربيـــة من

فصام نفسى انمـــا هو نتيجة لمحـــاولات اذابة العقيـــدة الدينية فى قلب المسلم واحلال أنواع من الفكر الالحـــادى أو

العلمانى أو الشيوعى كبدائل للايمان بالله ٠

ويصر هؤلاء الذين حصلوا بعض علوم الغرب ان يعيشوا بعقولهم فيما حصلوه ، أما قلوبهم فتظل محتفظة بشكل أو بآخر بالممارسات الدينية ٠٠٠

وهذا الكتاب يعرض بعض القضايا المعاصرة التى شغلتنى ، وما تزال تشغلنى ولقد تخلصت تمـــاما من التحيز للفكـــر الغربى وانتهيت بكليتى الى الله ، ملتزما جانب الاستقامة فى فىالعرض والتحليل متوخيا الأمانة فى عرض وجه النظرالاسلامية فى مايمس كل القضايا التى تعرضت لها فى هذا الكتاب ٠

وسيجد القارىء العزيز أن وجهة النظر الاسلامية المعروضة بين ثنايا هذا الكتاب لاتكلف فيها ولاعنت ولاعسف٠٠وانما سيجدها نابعة من المعين الذى لاينضب وهو كتـــاب الله وسنة رسوله وهى تعبر تعبيرا حقيقيا وصادقا عن المواكبة للفطـــر السليمة التى فطر الله الناس عليها ٠ والله ولى التوفيق

د٠ حسن الشرقاوى

(★) الذين ينكرون القدوة !

في ندوة بكلية الآداب بالاسكندرية تحدث د. يوسف ادريس « عن الوجود المصرى » وافاض فى تحليل مشاكل الشباب ، لكنه اخطأ فى تشخيص الداء ووصف الدواء .

ومما لاشك فيه أن مشاكل شبابنا المثقف المعيشية لم تصبح ظاهرة اجتماعية فحسب ، بل تفاقمت لتصبح مشكلة اجتماعية لايخلو أى بيت مصرى منها ، بحيث لا يمكن تمييعها أو السكوت عليها ، والا فان رد الفعل سيكون عنيفا قويا ...

لقد تعرض د . يوسف ادريس الى مشكلة السكن وانخفاض الأجور وعدم وضوح الرؤية للأهداف المستقبلية ..

لكنه لم يتطرق فى محاضرته الى الانموذج الذى يتوجب على الشباب الاقتداء به ليجتاز أزمته ، الا انه تصور أن الشباب يستطيع وحده أن يقوم بالمستحيل . بدون قدوة . وان اختلفت قيمه ومفاهيمه وافكاره الاجتماعية وعقائده الدينية .

وعندما وجه الى سيادته تساؤل عن اغفاله التركيز على القدوة باعتبارها الركيزة الاساسية لتنشئة الشباب . أجاب سيادته بأن القدوة هى أكثر المصطلحات خداعا وانها مسألة رجعية مضللة مثلها مثل قانون العيب الذى صدر منذ سنوات ..

لقد ادعى سيادته أن السياسة لاقدوة فيها ، وقسم حكومات العالم الى ثلاثة أقسام ، قسم يحكمه الاشتراكيون وقسم ثالث خاضع للأنظمة الدينية ، الا انه اضاف قسما رابعا اسماهم « الثوريون » أو « الانقلابيون » .

لقد تصور سيادته أن السياسة لا علاقة لها بالقدوة من قريب أو من بعيد ، انما القدوة مسألة اخلاقية فحسب ...

(★) نشرت بجريدة الاهرام فى ١٩٨٣/٢/٢٦ .

الا ان سيادته رجع مرة أخـــرى وانكر القـــدوة عندما أعلن فى جرأة : أن الذين ينادون بالقدوة مضللون ورجعيــون ومتجمدون .

لقد احزن كل المستمعين اساتذة وطلابا ، ان يصـــدر هذا الحديث عن كاتب معروف امام حشد يبلغ اكثر من الفى شـــاب جاءوا يلتمسون القدوة الحسنة ..

لقد أجهد اساتذة الجامعات انفسهم لتلقين تلامذتهم اهمية القدوة الحسنة فى السلوك العلمى والعملى والحيـــاتى . لكن جاء د. يوسف ادريس ليبلبل الفكر الشبابى وكانه يدعو الشباب الى التمرد والعصيان ضد السلطة الابوية وضد المربى والمعلم واعطى أمثلة سيئة لذلك .

ان انكار القدوة انكار للابوة والامومة أولا ، ثم تمـــزيق للأسرة ثانيا ودعوى للتحلل من الاخلاق والقيم والآداب الرفيعة ثالثا ...

ان انكار القدوة انكار لرسالة المعلم والمربى ، والأخطـــر من ذلك أنها دعوى لانكار رسالة الانبياء والمرسلين والمصلحين ، ثم انها انكار للرسالة الخاتمة التى ابلغها رسولنا محمد صـــلى الله عليه وسلم ، وهو القدوة الحسنة الذى يتمثل بها كل مسلم ، وقد امرنا الله تعالى بالاقتداء به :

«لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر   (الاحزاب ٢١)

فالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم واجب على كل مسلم ومن انكر ذلك فقد خرج عن الدين :

« وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا »

فكيف يأتى الزمان ، ويزعم احد الكتاب المسلمين على المنأ أن القدوة خرافة ودعوى مضللة ، وينسى أن قلب المؤمن وعقله ولسانه يتمثل فى قدوة لم يأت الزمان ولن يأتى بمثلهـا ... انها شخصية محمد صلى الله عليه وسلم .

اذ يقول :

« خذوا عنى مناسككم »

« صلوا كما رأيتمونى أصلى »

« ليبلغ الشاهد الغائب »

لقد اقتدى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم باخلاقه وافعاله واعماله وسلوكه ، فأصبحوا بفضل الله مدارس اخلاقية واجتماعية ودينية ، وكما أخذ عنهم التابعين أخذ عن التابعـين تابع التابعين ، وسيظل الاقتداء بهم الى يوم الدين ...

ان الاسس التى يتوجب على المسلم الاقتداء بها واضحـة جلية ، لا لبس فيها ولا غموض ، لكن الابتعاد عن القدوة الصالحة بدعوى الافتقار اليها وافتقادها قول مرفوض ودعوى كاذبة ..

فالقدوة الحسنة التى يمكن أن يتمثل بها الطفـل موجودة فى الاسرة والمدرسة والجامعة وفى الحياة العامة ، لكن مرضى القلوب لايرون الا القدوة السيئة فقط فان المريض « بالمرارة » يرى طعم العسل مرا .

ان نجاح عملية التنشئة الاجتماعية والاخـلاقية وعدم نجاحها يرتكز على القدوة،فاذا كانت حسنة ، تكاملت الشخصية اخلاقيا وسلوكيا واجتماعيا ، واذا كانت القدوة سيئة نتج عن ذلك الانحراف والفساد والانحلال الخلقى ...

فمن الناحية العلمية تقـوم وسائل التنشئة على محــاكاة القدوة ، مثل ذلك كالذى يريد ان يتعلم الخط الجميل فان عليه أن يحاكى صاحب الخط الجميل فاذا قلد صاحب الخط الردىء اكتسب خطا رديئا ، وكذلك الأمر بالنسبة للخلق الجميل فانه يحتاج لاكتسابه الى اختيار صاحب مكارم الاخلاق ٠٠٠

غير انه يحتاج المرء للتكلف ــ أول الأمر ــ لاكتساب الاخلاق الحسنة ، والتكلف عملية مكابدة ومجــاهدة ومعاناة ، فاذا لم نثابر ونصبر فاننا لن نكتسب الاخلاق الحسنة ، كما لانكتسب الخط الجميل ٠٠

ان تربية النشء لاكتساب المفاهيم والقيم الكبرى لن تتحقق الا بالتكلف ، لأن النفس الانسانية ترغب فى التكاسل والراحة والخمول ، فان لم تتعود على المثابرة وبذل الجهد لمحاكاة القدوة الحسنة ٠٠٠ حدث الانحراف والتحلل الاخلاقى ٠

واذا مااختيرت القدوة الحسنة وأصبحت الانموذج الــذى يحتذى المرء به ، وتطبع المقتدى باخـلاقها وسلوكها ومثلهــا العليا ، حتى يصل الى أن يكون ذلك طبعا راسخا فى الانسان ، فلا ينحرف عن هذا الطبع أبـدا الا أن يكون اضطــرارا أو اجبــارا ٠٠٠

ان حل مشاكل الشباب الحياتية يكمن فى القدوة الحسنة ، وافتقاد القدوة ليس دليلا على عدم وجودها ٠

وأخيرا أرجو أن يصحح د٠ يوسف ادريس نفسه ويرجع الى الحق فالحق احق أن يتبع ٠

القـــدوة

اردت أم لــم تــرد !!

طلع علينا أحد الكتاب المعروفين اثناء ندوة عقدت بكلية الآداب بالاسكندرية بدعوى جديدة تتمثل فى انكار القدوة ، ولما سأله احد الأساتذة عن سبب انكاره للقدوة ، اجـاب د٠ يوسف ادريس ان القدوة اصطلاح رجعى مضلل !!

ولقد نسى سيادته أن والديه قد ربياه صغيرا ، وانه شاء أو لم يشأ قد تطبع بهما فى دور من ادوار حياته ، كما تطبـع ببعض معلمه ومربيه فى المدرسه أو الجامعة أو الحياة العامة ٠٠

لكن الدكتور يوسف ادريس قد اخطأ خطأ بالغا عندما انكر القدوة ، ذلك انه يمكن أن تكون القدوة حسنة ، فالذى يقتدى بأصحاب مكارم الاخلاق يتطبع بطبعهم ومن ثم يسهل عليه أن يصبح خلقه حسنا ، وعلى النقيض فان من اقتدى بقدوة سيئة تطبع بها ولزم عنها ، ظهور طبعه الردىء وخلقه القبيح ٠٠٠

واذا انكر الانسان القدوة فقد انكر القيم والمثل والمبادىء والرسالات السماوية وحقيقة الدين ، ولا يمكن الا أن يكون متهما فى موازينه العقلية وفكره الحياتى وسلوكه الاخلاقى ٠٠٠

ان الماركسيين لا يحفلون بالقيم الكبرى والمبادىء الرفيعة ويعتبرون الدين أفيون الشعوب ، ويشككون فى كل مفهوم عظيم ويضربون بعرض الحائط ، بالمثل العليا التى يجب أن يقتدى بها الانسان ٠٠٠

وهم يهدفــون من وراء ذلك بلبلــة فكر الانســان المؤمن والتشكيك فى عقيدته ، وعدم الاقرار بوحدانية الله وبرسله وانبيــــائه ٠

لكن يخشى الماركسى من رد الفعل عندما يتحدث الى شباب مؤمن بالله ربا وبالرسول محمد نبيا ومرشدا ، فيستخدم عبارات منمقة وتعبيرات زائفة واسلوب يثير النعرات ويوافق الشهوات قاصدا من ذلك الدخول من باب خفى الى عقول الشباب ليهــز ايمانهم بكل مقدس وجميل وجليل ٠٠٠

وربما يكون هذا الأسلوب فى أول مثيرا ، خاصة اذا كان المتحدث يمسك بيده جهازا من أجهزة الاعلام ، ولايعطى لغيره فرصة مناقشته فى دعاويه والرد على أراجيفه ٠٠٠

فاذا نجح فى نقل افكاره الخاطئة ومزاعمه الباطلة ، ولم يعط فرصة لاحد لرده ودحض كلامه ، اعتقد ان الشباب قــد استجاب لدعاويه ، وأن الجمع قد اسلم له القياد ٠ فيما زعمه من اراجيف ٠٠٠

ان القدوة الحسنة حقيقة لا ريب فيها ، وآن من لا قدوة له فالشيطان قدونه ، وأن اعظم قدوة يجب آن يتمثل بها الشاب والكهل والشيخ هو رسو لالله صلى الله عليه وسلم :

(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخــر)

« الاحزاب : ٢١ »

فالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبصحــابته وبالتابعين

وتابع التابعين الذين أخذوا عن الرسول وتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بأدبه ، واجب على كل مسلم ومن خرج عن ذلك فقد خرج عن الدين :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(ومن يطع الرسول فقد اطاع الله)

ولا يمكن لمسلم أن يعتد بغياب القدوة أو بافتقادها أو الافتقار اليها فكتاب الله يحمل فى طياته وفى كل اية من اياته ما يعين المسلم فى فكره وسلوكه وحياته ، وان فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التفاصيل الجزئية والتساؤلات اليومية التى يمكن أن تطرأ على الذهن بخصوص الاحكام والمعاملات والعبادات والعقود ، وللاستزادة فان علماء المسلمين بذلوا جل جهدهم وامضوا كل حياتهم فى تطبيق الاصول على الفروع والعام على الخاص ، واستخدموا القياس والاستحسان والمصالح المرسلة فيما لانص ولاحديث ولا اجماع فيه . وبذلك بطلت دعاوى الطاعنين فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الاسلامية فى مجتمعنا الحديث والمعاصر ...

ان هذه الدعوى التى اطلقها بوعى أو بلا وعى د. يوسف ادريس دعوى خطيرة فى أهدافها وغاياتها ، وأن الضلال والاضلال الذى تحمله بين ثناياها قمين بأن تهب له القلوب المؤمنة انكارا ودفاعا عن الحق ، فالحق أحق أن يتبع .

(١) لا افراط و تفريط

فى شريعــة الله

ليس للانسان أفضل من عقيدة الاسلام عقيدة يتمسك بها ويدافع عنها ، مهما لاقى فى سبيل ذلك من عنت وجور وظلم عظيم ٠

ان الأفكار الخاطئة التى تلوك بها ألسنة مرضى القلوب ، انما يقصدون بها التخليط والتخييل والقاء سحابات من الشك والريبة فى القلوب ، ويستخدم هؤلاء تعبيرات مبهمة ، والفاظ غامضة تثير النعــرات وتضلــل القارىء والســامع عن قصــد السبيل ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ان أخوف ما أخافه على أمتى الرياء (٢) (الشرك الخفى ٠

هناك الشرك الاكبر وهنــاك الشرك الاصغر الخفى وهــو الرياء ، وصاحبه يستظهر الايمــــان ويخفى الكفر ، ويعلــن الاسلام ويلبس مسوح التقوى لكنه فى حقيقته خادع مخدوع ، فما يلبث أن يظهر الله كذبه ويكشف عن سريرة نفسه ، ويرجع خاسئا محصــــورا ٠٠٠

ومهما ادعى المرائى انه يستهدف الحق ، ويدعو الى الله ، فانه مهما طال به الامد سيفضحه الله ويخذله وينكس رآيته ٠

---

(١) نشرت هذه المقالة فى مجلة رابطة العالم الاسلامى عدد مايو ١٩٨٣٠

(★) نشرت بجريدة الاهرام فى ١٩٨٣/٢/٢٦ ٠

(٢) روى أبن عدى فى الكامل عن عمر رضى الله عنه « اخــــوف ما أخافه على أمتى كل منافق عليم اللسان » ٠

أما المؤمن فـلا يرائى ولا يخادع النـاس ، اذ هو رشـيد العقل ، سليم القلب ، لاينحرف عن الصراط المستقيم ، لايسرف ولا يقتر ، ولا يغلو ولا يضعف ، وان اخطأ فبغير تعمد الا تكون هفوة غير مقصودة أو اضطرار لا حول له فيه ولا قوة :

« ولاجناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم »

ان الاعتدال والاستقامة والقوامة والقسط والعدل أساس للدين ، والاسراف والعفـو والافراط من ناحيـة ، والتقتـير والنقص والتفريط من ناحية أخرى ، ليس من طبع العلمـاء ، ولا فى خلق الفضلاء ، ولا فى سلوك المؤمنين ، ولا فى فكـر المفكرين ، انما الذين يتمسـكون بشريعـة الله ، ويحتـذون بالرسول صلى الله عليه وسلم ، تمسكوا بأيات الله البينـات التى حددت لهم معالم طريق العلم والسلوك :

« وجعلناكم أمة وسطا »

« قال أوسطهم » (أفضلهم رأيا وأتمهم حكمة)

فالطريق الى الله واضح سليم ، لا عـوج فيه ولا غموض ، والانسان الحكيم هـو الذى يستقيم فى أمـره ، ويطيع ربـه ، ويقتصد فى سيره ، فلا ينحرف عن الغاية التى رسمها الله تعالى له ، ولا يدعى لنفسه رأيا من دون الله ، ولا يزعم لنفسه حولا ولا قوة ، ولايستخدم وسـائل الترهيب ليكيد لعبـاد الله ، ولايركب موجة العنف والعدوان ، ولايجبن او يقصر او يفرط فى أمر دينه مداهنة ورياء ونفاقا ، ليصل الى مركز الصـدارة غشا وخداعا وافتراء ...

ان مقتضى الحكمة أن يكون المفكر والعالم والاديب عـدلا صادقا ، لايداهن من اجل منفعة شخصية أو مصلحة ذاتية ، انما الحكيم من يقول بلسانه ما يؤمن به قلبه وليس من هؤلاء الذين :

« يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم »

ان من واجبات الذى يتصدر المؤسسات الثقافية ، والندوات العلمية أن يقول قولا رشيدا متوازنا ، فلا ينطق عن الهـوى ولا يطلق سحابات الشك والريبة فى نفوس السامعين والقارئين والمشاهدين ، حتى ينفع الناس ولا يبلل بالغث والسـاقط من القول اللامعقول من القول المعقول .

ان مقتضى الحكمة أن يكون الانسان خيرا ونافعا للآخرين :

« ومن يؤت الحكمـة فقد أوتى خـيرا كثيرا »

فالحكمة وسط عدل وخير فاضل ، وصاحب الحكمة عالـم صادق ، وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« عالم ينتفع بعلمه خير من الدنيا وما عليها من ذهب وفضة »

والعالم النافع بعلمه لايدعى لنفسه ماليس لها ، فيزعم كما زعم قارون أن ما تحصل عليه (قارون) من مال لعلم عنـده ، انما العالم على الحقيقة المتواضع لله والذى يوقن أن علمه انما بتوفيق من الله تعالى وهدايته ورحمته .

ولقد بين الله تعالى لنا ، أن العالم الحق والحكيم العـدل ، يشهد قولا وفعـلا ظاهرا وباطنا ، بضعفه وقلة حيلته ويـؤمن ايمانا راسخا بحقيقة لا اله الا الله وانه عبد عاجز وان اللـه القـوى القادر :

« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكـة وأولو العلـم قائما بالقسـط »

ولكى يكون الانسان عدلا حكيما عالما ، فان علية أن يتمسك بكتاب الله ويقتدى بالرسول صلى الله علية وسلم فى فكره وخلقه وحياته ومن تمسك بسنة الله فلن يضل أبدا ...

ومن يزعم انه صاحب رأى فى أصل من أصول الدين ، فقد تحلل عن العروة الوثقى ، وتبع هواه ، وقاده جنوح عقلـه الى اختراع ناموس من عنده لم يأت به الله ...

فالمشرك والملحد والكافر لا يقول ليس هناك اله يعبـد ، لكنه اما أن يشرك بالله الهة أخرى ، أو انه يعبد الله بطريقته الخاصة ، وقد قاده عقله القاصر الى آراء ومفتريات وأكاذيب ما انزل الله بها من سلطان ...

ان الادعاء بأن المفكر أو الاديب يمكن أن يكون له رأيـا يخالف النص الصريح والسنة الشريفة واجماع الامة ، قـول مرفوض وزعم باطل اذ هى أمانى المتهوسين وأباطيل المغرورين واصغاث المخمورين .

وكما انه يجب محاسبة الغلاة والمسرفين لجنوحهم عن الحق والرشاد فى أمر الدين ، فكذلك يجب محاسبة المبطلين الذيـن يشككون فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبـاره القدوة الصالحة فى كل زمان ومكان ، وليس المسرف باعظم جرما من المبطل فانهما فى الباطل سواء ...

ان التشريع الاسلامى صالح للتطبيق فى كل عصر وحين ، وانه قادر أن يمتد باحكامه ونظامه ومعاملاتـه ليشتمل الناس جميعا ، ومن ادعى غير ذلك فقد خرج عن حقيقة الـدين .

ان النظام الاسلامى له اصول يجب الاقرار بها والعمل بموجبها فى الفكر والسلوك والتطبيق ، ومن يدعى غير ذلك فقد اتبع هواه ، وجنح الى الأباطيل والاساطير واضغاث الاحلام .

انه ليس من الحرية الشخصية أن يعاند المسلم النص الصريح ولا السنة المباركة ولا اجماع الامة ، وان أى معاند ينادى بهذا الخروج السافر عن شريعة الله وهدى رسوله الأمين ، يجب أن تفزع له الأمة ، وأن تظهر سخفه وبعده فى الحق والرشاد .

وما البهائية والقاديانية واهل القرآن وهى دعاوى مضلله حديثة ومعاصرة ، الا اراء جانحه تؤمن ببعض اصول الدين وتنكر بعضها ، وتنسخ آيات من القرآن وتأول بعضها ، وترفض البعض لآخر ، كما أن هذه الدعاوى تنكر السنة النبوية ، وتتخذ من «الباب» «والبهاء» «والقاديانى» أئمة كبدائل للرسول صلى الله عليه وسلم .

ماذا نقول فى هؤلاء وهؤلاء ... اتقول انهم من اصحاب الرأى وأن دعاويهم السافرة من الدين أم نخرجهم عن الاسلام ، ونعتبرهم فرق ضالة خارجة عن الدين .

ان أهم مايربط المسلم بدينه أن يعرف حدوده ، فاذا تعدى حدود العبودية لله ، وتطاول بطيش عقله وهوى نفسه الى منازعة الله فى ملكه ، والاعتراض على حكمه وحججه الدامغة فى الخلق والكون والحياة ... اذا تعدى حدوده الى منازعة الربوبية فقد خرج بالكلية عن حقيقة الدين .

ان الاختلاف فى الفروع والتفصيلات الجزئية دون اصول

الدين مقبول عقلا وشرعا ، وذلك من باب السعى والرحمة واليسر على المسلمين ، فان أخطأ المفكر فله أجر وان أصاب العالم فله اجران ...

اما أن يزعم المفكر او الاديب أنه بمقدره أن يضع نظاما أو (برنامج) ، يشرع أو يقنن فيه على هواه فهذا باب خفى يراد منه التحلل والخروج عن شريعة الله .

ان المستغربيين وبعض المستشرقيين يزعمون أن بمقدروهم خلق معدوم واستحداث الجديد فى مجال الدين والتربيــــة والاخلاق ،ويتوهمون بأنه مادامت الحضارة المادية العوراء قد نجحت فى مجال العلوم العلمية والتطبيقية والتكنولوجية ، فان حضارتهم قادرة أيضا أن تشرع للناس ناموسا جديدا ، وقانونا اخلاقيا ينسـخ الاديـان السماويـة التى هى فى ظنهم أفيـون الشعــوب .

لقد نسى هؤلاء ان العقل الانسانى الذى خلقه تعالى عاجزا فى البداية والنهايـة عن الوصول الى الحقـائق الكلية ، اذ أن الانسان خلق ضعيفا وقدراته محدودة وعلمه قليل ، لذلك ارسل تعالى الانبياء لهداية البشر الى الطريق المستقيم ، وأوحى اليهم بما يصلح للناس فى دنياهم وآخرتهم .

لكن هناك مجالا للعقل الانسانى يمكن ان يتحرك فيه وأن يسعى له ، وقد سخره تعـالى للمؤمن ، فاذا تأمـل وسعى فى الأرض ، استكشف بعض الاشياء الخفية فى الكون ، واستجلى بعض سنن الله التى غمضت عليه ، وهذا ماتيسر لحضارة القرن العشرين من مستحدثات ومستكشفات فى مجال العلوم العملية

والتطبيقية كالميكانيكا والكهرباء والطبيعة وغيرها ...

لكن يطرح هذا التساؤل نفسه : هل استطاع الانسان في القرن العشرين أن يتوصل الى تشريع او تقنين في مجال العلوم الحديثة ؟ ... أو بالاساليب العلمية الحديثة أوصله الى التكامل الأخـــلاقى ؟

ان الاحصـــائيات تدل على أن انسان القرن العشرين أكثر جاهلية من القرون الاولى،فانه تحدث فى اعظم مدن العالم تقدما كل ثوان جرائم فظيعة من بقر للبطون،الى مهاجمة للبنوك،الى قتل الابرياء والعزل بغير الحق ... فهل توصل اصحاب الرأى الى تقدم مافى التربية والأخلاق والتشريع يؤمن الناس على حياتهم ومستقبلهم واعراضهم .

اذن فلابد من شريعة الله ، والدين هاد للعقل الانســانى من الوقوع فى الافــراط والتفــريط والاسراف والتقتـــير ، والوصول بالانسان الى الوسط العدل وهو الخير الفاضل للبشر فى الدنيا والآخرة .

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويـــلا)

اذا اراد د. يوسف ادريس حقا ، أن يكون له رأى فيجب أن ينبع رأيه من حقيقة الدين بلا افراط أو تفريط ، وعليه

أن يتواضع فلا يخرج عن اجماع الامة ، اذ الرأى الرشيد هو الذى لا يمس اصلا من اصول الدين أو يتصادم مع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم والا كان ظلما للنفس واتباعا للهوى (١) ٠

واخيرا أقول ، لو ادعى احد من الناس كان من كان أنــه قادر بذكائه أو علمه أو سلطانه أن يخدع الناس فانه فى حقيقة أمر مخدوع ، ذلك لأن الله تعالى يظهر الحق على لسان الصادقين ويكشف ظلم المغتربين،وان طال الأمد كما اظهره تعالى على لسان امرأة العزيز عندما ظلمت يوسف عليــه الســلام فقالت مقرة بذنبهــــا :

(الآن حصص الحق ٠٠٠ أنا راودته عن نفسه)

لابد أن يظهر الحق ولو طال الأمر ، ومهما توهم الخادع أنه استطاع أن يخدع غيره فهو مخدوع لأن الله سيفضحه امام العالمـــين :

(فلا يحزنك قولهم إنا نعلم مايسرون وما يعلنون)

صدق الله العظيم

---

(١) رد د٠ يوسف ادريس فى اهرام ١٩٨٣/٢/٢٨ على المؤلف مهاجما الصحابة منكرا أنهم قدوة للمسلمين بل اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم كبشر ليس قدوة ٠ وهذا سبب رد المؤلف عليه ٠

هــوى ... اصحاب الهوى

ان اعظم مشكلة تواجه الانسان فى حياتــه عبادة الهوى ، واذا غلب الهوى على النفس جنح العقل ، واظلم القلب ، فلا يسمع الانسان كلمة الحق ، ولا يرى الا الاباطيل والاضغاث والاشباح المفزعة تؤرق منامه وتجعله في حياته تعسا شقيا. والذين يعبــدون الهــوى ، لا يفقهون حديثــا ، ذلك لأن ما يدركونه بأسماعهم وأبصارهم من العلم لاينفذ الى قلوبهم ...

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها)

« الاعراف : ١١٦ »

أما من اتبعوا الحق فانهم لا يطيعون الهوى بعد ما جاءهم من العلم ، وهذا هو الفرق بين العاصى والمؤمن فليسوا سواء :

(أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهــــم)

« محمد : ١٤ »

ان الهوى عدو العلم الحق ، اذ يقود صاحبه الى ارتكاب المظالم واتيان الفواحش والصد عن سبيل الله ، وهو ظالم لنفسه فقد حرمها نعمة الايمان وحجبها عن نور المعرفة ، فعاش حياة الخوف والفزع وشحن بالحقد والحسد لغيره . واغواه الشيطان فضل سواء السبيل .

(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

« القصص : ٥٠ »

(بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم)

« الروم : ٢٩ »

فعبادة الهوى جهل وانحراف عن هدى الله ، والهوى ظن كاذب واحتواء شيطانى وتخييل ووسوسة لا تقود الا الى الضلال والفساد والافساد :

(ولا تتبعوا اهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا)

« المائدة : ٧٧ »

لكن لماذا تتبع النفس الهوى بعد ما جاءها من الحق ؟

ان الغفلة تقود الى الهوى ، والغفلة ثمرة فجة لعـــدم الاستقامة

(واستقم كما أمرت ولا تتبع اهواءهم)

« الشورى : ١٥ »

ولكى لا يتبع الانسان الهوى ولا يغفل عن طريق الاستقامة عليه أن يذكر الله دوما حتى لا ينسى ، اذ ذكر الله يؤنس القلوب ويربطها بالله برباط مكين .

فاذا نسى أمر الله ، وطال به الأمد غشى قلبه الغفلة وسقط فى براثن الهوى فضل عن سبيل الله ...

ويوضح لنا تعالى فى كتابه العزيز ، أنه اذا كانت الصلاة تطهر الانسان فلا يقدم على اتيان الرذائل وتنهاه عن الفحشاء والمنكر ،فان الذكر الدائم لله ليحقق فائدة اكبر للنفس اذ يجنب النفس الوقوع فى الهوى والضلال ...

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

« العنكبوت : ٤٥ »

(واذكروا اللـــه ذكرا كثيرا)

« الأحزاب : ٤١ »

وبالاضافــة الى أن ذكر الله الدائــم يعين العبد على عدم نسيان أمر الله ومن ثم عدم الوقوع في الغفله التى تقــود الى الهوى والضلال ، فان الذكر الدائم لله يحقق للانسان أعظــم نعمة له فى حياته الدنيا الا وهى السكينة النفسية والطمأنينة القلبيـــــه ٠٠

(الا بذكر الله تطمئن القلـــوب)

« الرعد : ٢٨ »

وعلى النقيض من ذلك فان اصحاب الهوى يعيشون جــل حياتهم فى قلق مزمن وخوف دائم ومهما تظاهروا بالسعادة ، فان الحقيقة ان بواطنهم يخيم عليها التعاسة والشقاء المقيم ٠٠

فأصحاب الهوى براكين تغلى من الداخل تكاد تتفجر وتتقاذف منها الحمم ، وهم كالاوتار المشـــدودة التى تكــاد أن تتقطع ، لكنهم يبطنون غير ما يظهرون ، ويخفون غير ما يعلنون ٠٠٠

ويختلف عباد الهوى فى ضلالهم ، فمنهم من يزعم العلــم وما يتبع الا الظن ،ومنهم من يتوهم الهدى وما يعبد الا الشيطان ومنهم من يخيل اليه الباطل حقــا والحق باطــلا وهم اصحـــاب الدعاوى والضلالات ٠٠٠

ولا يكف اصحاب الهوى عن التعريض بالمؤمنين ، فان منتهى أمانيهم أن يضلوهم ، فان لم يقدروا فانهم يكيدوا لهم كيدا ، ويسلطوا عليهم المفسدين لظلمهم والنيل منهم ، لذلك يحث الله

تعالى عباده عدم الالتفات اليهم وعدم اتباعهم او طاعتهم :

(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطــــا)

للشهوات حسية كانت أو معنوية ، فاتباع شهوة الفرج والمعدة والافراط طبع اصحاب الهوى ، فغلوهم فى تحقيق الأمانى الكاذبة واسرافهم فى طلب اللذات العاجلة ، يجعلهم أبدا عبيدا غاية أساسية لهم · وان خالفت القيم والدين والتقاليد ، وكذلك الامــر بالنسبة للشــهوات المعنوية كشــهوة العدوان والتكبــر والاستعلاء سواء كان ذلك باســتخدام اللسان أو الايذاء بكــل سلاح وأداة ···

وينتهى أصحاب الهوى الى المرض النفسى المزمن ولايعالجوا منه الا بالرجوع الى حصن الايمان ، ويظهــر المرض النفسى فى صور الوسوسة والشك والريبة والظن السيىء والخوف المقيــم والرجفة والفزع والقلق المقيم ، وهؤلاء المرضى اظلمت قلوبهم واعتراها الحقد والرعب والاغترار والحرص والرياء والبخل والطمع والشره ··

فاذا ماتراكمت هذه الامراض النفسية ، صعب العلاج الا برحمة من الله ، واذا ما اجتمع بعضها سمى صاحبها جاهــلا ، فاذا ازداد مرضا سمى شهوانيــــا ، فاذا تفاقمت هذه الاسقام سمى صاحبها المنحرف حتى ينتهى فى آخر امره الى أن يكــون شريرا والاشرار من يجعلون من الخـــير شرا ومن الشر خيرا ، انمحت عنهم صفات الانسانية كلها ، ومن نعم الله ان هـــذا

الصنف من الناس نادر الوجود ٠٠

أما الجاهل والشهوى والمنحرف من اصحاب الهوى فانهـم يعيشون فى كل مجتمع يزيد عددهم ويقل بحسب قيمه ونظامه واخلاقياتـه ٠٠٠

وربما يتساءل المرء : لماذا يوجد أصحـاب الهوى فى كـل مجتمع من المجتمعات ؟ والرد سهل ميسور اذ انه بدون معرفـة الشر لايتأتى الخير ، فاذا لم يدفع الشر بالخير والخير بالشر لفقد الانسان الاختيار وتوقف عن التفكير وفسدت موازينه واحكامـه على الامور كلهـا ٠٠٠

وكيف يختار الانسان العمل الطيب ويترك الخبيث اذ كان عاجزا عن التمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ٠٠٠

ان وجود الخير والشر فى الحياة الدنيا ضرورة كى يتحقق العدل بين الناس ، ويميز بين المؤمنين واصحاب الاهـواء ، بين المجاهدين والمتبطلين والمنافقين ٠٠ حتى تكون لحياة الدنيوية معنى وللانسان رسالة فيها ، فان اطاع الله فقد نجا وكتبت له الحسنى ، وان ظلم نفسه واتبع هواه فان جهنم هى المثـوى ٠

الذيــن يتقــولون على اللــه كذبــا

من اليسير على أصحاب الهوى أن يتقــولوا على الله كذبا ، ومن الصعوبة بمكان أن يلتزموا أدب العبودية وأن يقنتوا للــه طائعين مستغفرين تأبين ..

ان أدب العبد مع ربه ، يلزمه أن يعرف حدوده فلا يتعداها أبدا ، يعرف أنه عبد ضعيف والله هو القــوى ، وانه تعــالى الغنى عن العالمــين والعبد هو المحتــاج على الدوام الفقــير على الاســتمرار ...

فاذا تجاوز العبد حدوده ، واطلق العنان لهواه فأضله عن قصد السبيل ، فقد أغواه شيطانه ، ونــازع الله فى ملكــه ، واعتــرض على حكمه ، وتطــاول برأيه ليتحــدى مشيئة اللــه وارادة ...

ان العبد الصالح لايقصر فى واجبات العبودية ولا ينــازع الربوبية ، ولايجد لنفسه حولا ولا قوة ، ولايسمح لنفســه أن يعبد الله على حرف وأن يأؤل حكم الله وحججه فى الكون والخلق والحيــاة والموت .

ان اقدام العبد على مشاركة الربوبية فى الحكم على الامور والافعال ، ظلم للنفس ، وافتراء على الحق ، وشرك خفى يوقع الانسان موقع التهلكــة .

(وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

ان العاقل من لايجادل فى الله بغير علم ولا كتاب مبين ، والا وضع نفسه متهما وحكما بغير حق ، وسقط فى براثن الضلال بغير علم ولا هدى :

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى)

وكأن العبد الضعيف المغتر بنفسه يريد أن يجعل الله له ندا ، فيحاوره ويحادثه ، ويقيس الامور بعقله القاصر وظنه الفاسد ، معتقدا أنه يقول الحق وينشد الخير ، وهو انما يتبع الظن ويعشش على قلبه الوهم ، ويزعم انه انما يبغى الرحمة وهو فى عذاب السعير ...

لقد اوضح الله لنا فى كتابه العزيز ، كل مايحتاج المرء لمعرفته فى حياته الدنيا ، وبين له طريق الحق والامن ، كما بين له طريق الباطل والضياع ، وترك الانسان ليختار بلا اكراه ولا اجبار الطريق بعد ما اعلمه ، بأن رحلة الدنيا انما امتحان وتجربة له واختبار . وقد ابتلاه تعالى بالخير والشر فتنة ، وذلك ليتعرف على معدنه ، ويختبر ايمانه ويمتحنه عند المحن والشدائد ... ولولا عدل الله ما ابتلاه ولعذبه على أفعاله التى سيفعلها فى دنياه اذ وسع ربنا كل شىء علما ...

ومهما حدثت العبد نفسه بالتقول على الله ، ووافقت اباطيل الشيطان ، فان الله تعالى سيفضحه ، ويظهر أمام الملأ الباطل الذى يزعمه والكذب الذى يدعيه ...

(مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم

ان يقولون الا كذبــــا)

الكهف : ٥

ان الحديث الصادق من الله او عن الله وبكلمات الله وآياته البينـــــات ،

(ومن أصـــدق من الله حديثـــا)

لكن حديث النفس لا يصدق أبدا ، انما هى أمانى زائفـــة وآمـــال كاذبة ، ودعاوى تدعيهـــا ، وأضغاث احـــلام لا يعـــول عليها ، وأباطيل ينقشها الشـــيطان الرجيم فى قلوب أصحـــاب الهــــوى ٠

(ومن اظلم من ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفى آذانهـــم وقـــرا)

الكهف : ٥٧

يبتلى الله سبحانه وتعالى الناس فى هذه الحياة الدنيا بالنعم والنقم ، والخير والشر ، وذلك لحكمة لايعلمها الا هو ، ولـــولا دفع الله الناس بالخير والشر ، لفسدت الارض ، اذ الدفع ناموس الحياة الدنيا ، وفيه صـــلاح الارض والعبـــاد ٠

ويمتحن الله تعالى الناس بالابتلاءات ليعلم الصالح منهم من الطالح ، والمصلح من المفسد ٠ فالابتلاء تجربة واختبار يمتحن فيها معدن الانسان ليعـــــرف الخبيث من الطيب ، والا ادعى المنافق البر والتقوى ، وهو كاذب قنوط ٠

واذا توهم الانسان ظلم الله له ، واعترض على مشـيئته ، ولامه على قضائه ، فقد كشف تن دخيلة قلبه المريض وفضـــح نفسه الكذوب ٠

واذا لم يتول الله الانسان بهدايته وتوفيقه ، ســقط فى مهاوى الضلال ووقع فى براثن الشيطان ، وتسلسل معــه فى الضــــلالات ، حتى يوقعه فى الشرك الاكبــر ، ثم يتولى عنــه وهو يقـــول :

(أنى برىء منــك ، أنى أخاف رب العــالمين)

فاذا لم يتأدب العبد مع مولاه وخالقه ، وموجده ، وفاطره ، ويعرف حدوده ، ويعلم أن عقله قاصر عن ادراك حكمة اللــه البالغة وحججه الدامغة وآياته فى الكون والخلق والحياة ٠

اذا لم يعرف الانسان ذلك استحوذ عليه الشيطان واسر اليه بتهاويله فأفزعه وأرعبه ، وبتحاسينه فحسن له الشر وقبح له الخير ، حتى يقع فى الريبة والشك والتخليط والتخيل ٠ ان من يتحدث مع نفســه حديث الامانى الكـاذبة والآمال الزائفــة ، لا يتحدث مع الله أو الى الله ، كيف وهو يعترض على حكمه تعالى وحججه . اذ لا يمكن أن يكون ملهما من الله ، وهو يقول عن الله شططا ، اذ أن الملهــم من الله يستسلم لقضــائه ، ويتخـلى عن أغتراره بنفسه ، والمتأدب مع الله يستسلم له ظاهرا وباطنــا ، ويسترسل معه تعالى دون اعتراض أو تحدى أو أفتراء ٠

ويستحوذ الشيطان على النفس الكذوب ، ويلقى فى روعها

بالامانى الكاذبة والامال الزائفة ، ويظن أفتراء أنه يتحدث مع الله ، وهو فى واقع الامر تحدثه الشياطين ، وتلهمه بالاكاذيب والمفتريات ، ويغفل عن الفرق كأنه ليس هناك فرق بين حديث الشياطين وحديث الله .

(ومن أصـــدق من الله حديثـــا)

(ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)

ان النفس الانسانية اذا استقامت أطمأنت وسـكنت ، واذا سايرت الاضغاث والهوى ووافقت الغواية انحرفت عن الطـريق المستقيم ، وبثت الشياطين فى روعها الاباطيل والاحلام ، وظنت أنها بذلك تتبع الحق ، وتوهمت أنها فى طريق الخـير ... ، لكن الحقيقة أنها تسير فى طريق الانحراف عن العـدل والحق ، وهذا هو الظلم العظيم ، وان على الانسان أن يستقيم ، وذلك بأن يطيع الله ورسوله ويؤمن أيمانا عميقا بأنه تعالى لايظلم أحـد ، فاذا ما استقامت النفس أظلتها السكينة ، وازداد القلب ايمانا مع أيمانـه :

(هو الذى أنزل السكينة فى قلـوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مـع أيمـــانهم)

الرابطة بين الربوبية والعبودية

ماأحرى الانسان بأن يتمثل بكلمات الله التامات ويقتدى بآياته النيات فقد اوجب على نفسه الرحمة فكيف لانوجب الرحمة على غيرنا من الناس والعباد . ان الله عفو كريم فكيف لا يعفو ونحن المحتاجين الى عفـوه ورضاه .

ان الله تعالى قد اوجـب على نفسه الرحمة ، فيتفضل على عباده بالرحمة وانعم عليه رغم ان الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء ووليه ، وان كل ماسوى الله مخلوق له تعالى .

ومادام الله سبحانه وتعالى مالك كل شيء ومليكه وان كـل ماسوى الله مخلوق له تعالى . ومادام الله مالك الملك وكل العالم تحت تصرفه يفعل به مايشاء على مايشاء من غير اعتـــراض أو تجبـــر (١) .

لكن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « كتب ربكم على نفسه الرحمة »

(الانعـــام : ١٢)

هذا التفضل الالهى الذى تفضل به الله سبحانه وتعـــالى ووعد به الناس ووعده الحق وكلامه الصدق يجعل هناك رابطة بين العبد وربه رابطة محبة ورجاء في وعد الله وهذا مايجعل هناك علاقة وطيدة بين العبودية والربوبية بدون واسطات أو توسلات فأذا دعى الانسان ربه باخلاص وتوبة نصوح استجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه وانزل رحمة من عنده لتشمله فيعفـو عن آثامه ...

---

(١) الفتوحات الملكية الجزء الثالث البـاب الرابع والعشرين ١٣٣ / ١٣٥ .

كما ان هذه الرابطة تعنى ان الله تعالى أوجب على نفسه الرحمة (١) ، ابتداء كما اوجب على الانسان من قبل ان يهبط الى الارض ٠

(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)
طه : ١١٥

فأذا نسى الانسان ما تعهد به كما نسى من قبل آدم عليه السلام فان عليه ان يلتجأ الى الله ، فلا ملجأ من الله الا اليه ، ولقد أوجب على نفسه الرحمة للانسان فكلامه تعالى صدق وانه تعالى لايستجيب للانسان الا بعد دعاء العبد اياه ٠٠٠

(ادعونى استجب لكم ٠٠٠ سورة غافر : ٦٠)

لكن استجابة الله لدعاء الانسان مقترن بالعمل لله ، فلا يكون العبد مجاب الدعاء ، الا اذا استجاب العبد للأمر الالهى على ذلك قول عز من قائل :

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ٠٠٠ البقرة : ١٨٦)

هناك رابطة بين العبد وربه فالعبد عليه آن يأتمر بأمر الله فيطيعه ويعمل له فأذا أخطأ آو نسى او غوى فان عليه أن يرجع الى ربه داعيا مستغفرا ان يعفو عنه وان يحسن اليه ٠

ومن ناحية أخرى فأن الله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة فاذا وجد عبده قد انحرف عن الصراط المستقيم آو ظلم نفسه فأنه بواسع رحمته يغفر له ٠

والله تعالى يحب من عبده أن يوفى بعهده كما اوجب ذلك على نفسه فكون العبد يجيب امر الله اذا آمره فيعمل العبد اعمالا امره الله بها فأتقنها فقد شرع الله لنفسه أن يجازى هذا العبد الصالح على ماقام به من اعمال البر وافعال الخير وما كلفه به من فرائض وتكاليف بقوله تعالى :

(واوفوا بعهدى ، اوف بعهدكم)
البقرة : ٤٠

فعلى العبد اذن ان يعمل بما أمره الله ويطلب الى الله تعالى أن يغفر له فيقول رب اغفر وارحم كما ان الله تعالى يطالب العبد أن يأتمر بأمره ويوفى بعهده :

(انى انا الله لا اله الا انا فأعبدنى وأقم الصلاة لذكرى)
طـه : ١٤

هناك اذن رابطة بين العبد وربه تقوم على الصدق والحق والرجاء فى وعد الله والخوف من وعيده تتلخص هذه الرابطة فى العمل بأمر الله من ناحية وفى الدعاء من جانب العبد من ناحية أخرى وهذه الرابطة قائمة على الادب مع الله والطاعة له جميعاً ٠

ارادة الله وارادة الانسان

يقع كثير من ضعيفى الايمـــان فى الخلط بين ارادة الله وارادة الانسان ، ويزعمــون أمورا ينسـبونها تارة الى ارادة الانسان وتارة آخرى الى ارادة الله ، وبذلك يتلبس أمام اعينهم الحق بالباطل والباطل بالحق ٠

ونظرا لأن العقل الانسانى قاصر فى البداية والنهاية فهو يتوهم احيانا أمورا ويصدر أحكاما بعيدة عن الرشد ، تضـــل ولاتهدى وتظلم ولا تعدل ٠٠٠

فأحيانا يتصور أن الله تعالى مادام يحب الفضائل واعمال البر وفعل الخيرات فانه تعالى انعقدت ارادته اليهــا وانه تعالى لا تنعقــد ارادته لغـيرها من الافعــال المستقبحة ، والأعمــال المذمومة والرذائل والشرور ، وضعيفوا الايمان يزعمون أيضا أن الله لا علم لــه أو ارادة له فى فعل المعـــاصى اذ هى ارادة الانسان وحده وهو المسؤول عن فعلها والمحاسب على اقترافهــا

ومعنى ذلك أن الله يريد الخير وحده وان الانسان يريــد الشر وحده وهو المسـؤول عن أفعاله وحـده فى هذا العــالم ، فكأن له ارادة منفصلة عن ارادة الله وعقـــلا غير عقــل الله وسلوكا غير ســلوك الله وان بمقـدوره ان يخالفه ، كمــا أن بمقدوره ان يطيعه وهذا يدل على أن حكم العقل البشرى غــير حكم الله ٠٠٠ وكأن هناك الهين يدبــران أمر هذا العــالم الله

والانســـان ··· أو أن هناك اله للخـير هو الله واله للشر هــو الانســـان ·

ان ذلك يعد من الضلال والبعد عن الحكمة والرشاد ، فالله واحد لاشريك له فى حكمه ، يفعل مايشاء ، يهـدى من يشــاء ويضل من يشاء ، فلا يقال ان مراده الخير دون الشر ، فان جميع الحوادث الكونية الانسانية فى نفعها وضرها ، خيرها وشرهـــا مرادة لله تعالى ، وبذلك تنتفى الارادة الانسانية مع الله ، سواء انعقدت على الخير أو جنحت الى طريق الشر ···

فالله وحده العالم الخبير المدبر لهذا العالم على الحقيقــة ، فاذا فعل الانسان الشر فانه يستحق عذاب الله ، فلقد خلق الله الخير والشر والنفع والضر ، ثم أوصى الانسان بأن يتبع خيره وان ينبذ شره فاذا عصى الانسان نتيجة للنسيان أو الغفلــة أو الجحــود أو الالحــاد أمر الله فذلك لضعف جبلاته واتبـــاعه الهوى وموافقة الغواية والتوهم والظن بدون علم او هدى ·-

فما دام الله خالق العــــالم ، فانه تعالى خالق الحــوادث ، وهو مريد لما خلق ، فلا يزعم انه خلق شىء وترك شىء ، أو أنه ارادته انعقدت على شىء دون شىء ، ولا يقال أن الله يريد هذا الشىء ولايريد ذلك الشىء والا لجعلنـــا لله ارادة مثل ارادة الانسان وحاشى ان يكون كذلك ···

فلو كان هناك ملك من الملوك لا تنفذ ارادته فى أهل مملكته اعتبره الناس ضعيف الهمة مغلـــوبا على أمره ، فهل يجوز ذلك

على الله هل يعقــل ان ملك الملوك وفــاطر السموات والارض القادر الحكيم قد انعقدت ارادته على فعل امر من الأمــور ؛ أو شاء جل وعلا أن تتم مشيئته فى فعل من الافعال ثم أن ذلك لايتم او لا تنفذ ارادته فيما اراد على خلقه ٠

ان ما يفعله الانسان المؤمن والكافر ، الصــالح والطالح ، التائب والعاصى ، انما هو بعلــم الله ومراد الله وحكمـــة الله البالغة ، وحججه الدامغة فى الخلق والكون فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ومهمــا أراد العبــد وعقد العــزم عليه فانه لن يتم الا اذا شاء الله ٠٠٠

(ولو شاء الله لجمعهم على الهــدى)

الانعــام : ٢٥

فاذا أراد الله تعالى أن يهـــدى الانسان كان له ما أراد ، ومن شاء ان يضله نزع من قلبه الايمان فجعله من الضالين ٠

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يـــرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »

فالله يريد والعبد يريد لكن الله يفعل مأيريد ٠

حضـارة المسلمين المفترى عليها

كلما تأملت فى التاريخ الاسلامى ، بلغت بى النشوة مداها وأنا أتابع انتصارات المسلمين فى حقـول المعرفة فضـــلا عن انتصاراتهم فى الفتوحات الحربية ، وكل من يقرأ ولو شذرات يسيرة من تراث المسلمين الفكرى والعلمى ، لا يسعه الا أن يقف اجلالا واعتزازا بما قاموا به من أعمال عظيمة كانت السـبب المباشر لتقدم الانسان نحو حياة أيسر ، فلولاهم ماعرفت التقنية ولا وصل العلماء المحدثون الى حضارة القرن العشرين ..

بيد أنه لا يخفى علينا بحـال من الاحوال أن الحضـــارة الغربية الحديثة قد استقطبت علوم المسلمين وتوصلت بفضلها الى اكتشافات جديدة ، ومخترعات حديثة ، الامر الذى جعل من دولها الفقيرة دولا غنية ، ومن شعوبها الضعيفة شعوبا قويـــة معتزة بنفسها واثقة فى ذاتهـا ..

الا أن الحضـارة الغـربية لم تسـتطع أن تنفـذ الى روح التراث الاســلامى ، ولم تستطع أن تتعرف على سر حضـــارة المسلمين ، اذ المقلد يستطيع أن يقلد المادى والملموس والمحسوس فحسب ، وهذا مانجحت الدول الغربية فى تقليده ، ثم تطويره والتقدم فيه بخطوات رائـــدة ..

أما الجـانب الروحى من الحضـارة الاســلامية التليـدة فلم تستطع أن تقلده أو تلمسه ، اذ أن هذا الجانب غير ظـــاهر

للعيان ، وبذلك لم تنجح الى الآن فى العثور على القيم والمفاهيم والمثل العليا ، التى كانت تحرك ضمير الامة الاسلامية ابان حضارتها الزاهرة التى استمرت قرونا عديدة ..

اننا نستطيع أن نرسل بشبابنا للتدريب على الأجهزة الحديثة ، بل ودراسة التكنولوجيا الحديثة والتخصص فى العلوم العملية والتطبيقية ، وربما يتميز شبابنا فى هذا المضمار عن غيره من الشباب الغربى،كما يلتقط أصول هذهالعلوموالفنون والصناعات بسرعة مذهلة ..

لكنه من المؤكد أن أوربا لا تستطيع أن ترسل لفيف من شبابها ، لتعلم القيم ومكارم الاخلاق ، والا أستفادتمن القيم والمفاهيم الاسلامية ابان حضارة المسلمين فى الاندلس ... ولكان التقدم المادى الاوربى فى العصر الحديث يسير متوازيا جنبا الى جنب مع التقدم الروحى ...

لم تغنم الحضارة الغربية اذن من حضأرة المسلمين الا الجانب المادى فحسب ، أما الجانب الروحى من تلك الحضارة فقد طواه الزمان ، فلم يستفد منه أحد على الاطلاق سواء كان من الغربيين أو المسلمين ..

فهل يمكن أن نفتش باعتبارنا من المسلمين عن هذا الجانب الروحى من حضارتنا الاسلامية التليدة ونحن أولى من غيرنا ؟ وهل يمكن أن نرفع عن تراثنا التراب ، وتكتشف فصوصه النادرة ، ونسعى لنجعله قدوتنا فى حياتنا الراهنة ..

ان الجانب المادى من الحضارة الغـربية يمكن أن نستفيد منـه ، فنحـن فى أمس الحـاجة لاستخدام التقنيـة وتطـوير مجتمعاتنا باستخدام الوسائل والاساليب الحديثة التى سـبقنا الغرب اليهـــا ..

لكننا يجب أن لا نغفل عن الجانب الذى نفتقده نحن كمـا يفتقده الغرب حتى الان،وهوا الجانب الروحى،والذى به تتكون ذاتية الامة وتحدد مفاهيمها وأخلاقياتها ومثلها العليـا ..

من الصعـب على الحضارة الغـربية أن تنفـذ اليه ، مهما استخدمت من الوسائل والتجارب ، الا انه سهل ميسور لنا حيث انه صادر من الينبوع الذى لاينضب وهو كتاب الله الكـــريم وسنة رسوله الامين ...

اننا لن نبذل جهدا كبيرا فى الوصول الى سر التقدم المذهل للمسلمين ابان حضارتهم الزاهرة ، اذا كان رائدنا حقا التمسك بأهداب الدين والعمل بشريعة الله ...

ان سر تقدم المسلمين انما هو فى تطبيقهم لشريعـة الله ، والعمل بها ظاهرا وباطنـا ، ومتى كان حكم الله قائما وجـد التحضر والرخاء ، ومتى بطل العمل بحكم الله وأصبح الاسلام مسافرا ، وجد التأخر والانحلال والمجاعات ..

فسر نجاح العلماء المسلمين يكمن فى تمسكهم بحكمة الدين، وسعيهم من أجل البحث عن الحق والحقيقة .. فعلومهم كانـت مقترنة بالشريعـة ، وفكرهم كان هديـة القرآن الكـــريم ،

فلم تتفرق بهم السبل ، ولم يتفرقوا شيعا وأحزابا يخاصم بعضهم بعضا ، فى سبيل تحقيق المنافع الذاتية والمصالح الانانية ، انما كان رائد المسلمين رفع كلمة لا اله الا الله فوق الأعناق ، ومن هنا كان التعاون والمحبة والأخوة ، ومن هنا كان التقدم والعمران ... فأصبحوا بعد قرنين من الزمان أقوى امبراطورية عرفها التاريخ قديما وحديثا ..

وعندما انقسموا واختلفوا وتنازعوا وركنوا الى الملذات واتبعوا الاهواء ... سقطوا فى مهاوى الظلمة وابتعد عنهم العون الالهى ... فوقعوا فى الجهل والفقر والأوبئة والمذلة ...

احتاجوا الى غيرهم وكانوا من قبل الأقوياء الاغنياء ، استذلوا لغيرهم وكانوا من قبل يخشاهم القريب والبعيد ... ويخطب ودهم الامير والعظيم من الفرنجة والروم والاكاسرة ..

فهل يعلم المسلمون أن سر كبوتهم تغيرهم عن هدى الدين ، وهل يعلم المسلمون أن سر قوتهم يكمن فى تمسكهم بأهداب الدين .. ومتى تحقق للمسلمين عزة التمسك بأهداب الدين ، فسيكون من السهل الميسور الاخذ بأسباب الحضارة المادية التى يفتقرون اليها ...

خداع الزمان

ومضى العمر يدق فى جذور الزمان تجاعيده ، ويحفر على الوجوه النضرة اظفاره بقسوة شديدة ، ويحيل الزهرة اليانعة الى كومة متهالكة من العشب الجاف ٠٠ وكأن مامضى كان وهما لا واقعا وحقيقة ٠٠٠

بدأ العد التنازلى وعربة العمر المسرعة تسير متباطئـــة ، واصوات غريبة تهـدد مسيرتها ولحظـات من القلق والخـوف والفزع تفزع ركابها ، والعــدم شىء مرعب لكنـه فوق كل حقيقة ٠٠ انه نهاية المطاف والنقطة التى يتوقف عندها كل حى ليتحول الى جسم بلا روح ٠٠ ولا قلب ٠٠ وربما بلا ذكرى ٠٠

أهكذا أنت ايتها الحيـــاة ٠٠ أجرى حتى آلهـث سـاعيا عاملا ٠٠ ثم ما ألبث ان أرى نفسى وقد استسلمت فى النهاية ، ووقفت ارقب ذوبانى حتى اتلاشى تماما وكأنى بخار سابح فى الفضاء ، غطاه السحاب فلم يعد له وجود ، فقد غاب تماما عن الانظـــار ٠٠٠

وتدور عجلة الزمان فتسحق من كان بالامس ربيعا وتدوسه حتى يدفن فى اعماق الرمـال ٠٠ ويتـولد من الموت حياة فمـا يلبث الفجر أن يصبح نهارا ويغدو الرضيع شابا موفور القوة ليجرى ويمرح ويفرح مبهورا بنفسه ٠٠ ثم تجرى عجلة الزمان فتراه كهـــلا وشيخا يحفر بين الفيـــافى مثـواه ٠٠ وتنتهى الاقصـوصة بلحن جنـائزى وتبقى ذكراه ايـاما معدودات ثم تموت الذكريات ٠٠٠

أشباح تأتى وأشباح تمضى والكل يتوهم ان الاشباح حقيقة فلا يكاد يعثر على دليل يبين له الطريق ويشرح له ما غمض عليه من أمر الحيـــاة ··

وهكذا تضحك الحياة على الانسان وتشغله عن التفكير فى نفسه فلا يهتم باصلاحها ، وتنسيه الاهتمام بمستقبل عمـره ، فيضيعه ضياعا رخيصا ·· وتجرى السنون وهو لاهث بين جمع الحطام والتقاط الدراهم وبناء قصور فى الرمال المتحركة ··

نسيان وغفلة وخوف وقلق تلك هى رحلة العمر يتخللهـا بعض الآمـانى النفسيـة والرغبـات الخفية والمطـــالب التى لاتشبع ·· لكن مع ذلك يمضى الانسان وكأن العمر طويـــل طويل ·· وأنه سيحقق فى القريب ماتمناه . ويأتى القـــريب والبعيد فيجد نفسه وحيدا وحيدا بلا معين أو قريب أو صديق ·

ولايتعظ الانسان ، ولايستفد من خبـرات من سبقوه الى الحياة ومضوا ولم يحققوا شيئا سوى الندم والحسرة ··

ويستمر الحال على هذا المنـوال ونرى الماضى حاضـرا ، والحاضر مستقبلا ولا شىء يتغير فالناس هم الناس فى تكالبهم واغترارهم وثقتهم بالدنيا وركونهم الى الغفلة والنسيان ··

ننظر بعين الحكيم فلا نصدق مانراه ، وننظر بحس الجاهل فنوافقه فى مطلبه وهواه ، ومع اننا نعرف ان الحكيم ونظرته الى الحياة هى الحـق الذى يجب الا نتعـداه ، الا اننـا نغمض ونغلق قلوبنا ونمضى مع الهوى والشهوات ···

قصيرة هذه الحياة وعلامات غائرة على الوجوه تشهد اننـا على حافة الهاوية ومع ذلك لانتوقف عن مطالبنا ، ولا نهتـــدى الى حقيقتنا رغم ان كل شيء شـاهد على ان لحظة العدم قريبـة وانتهاء الرحلة قاب قوسين أو ادنى ٠٠٠

لكنا مع ذلك نخادع انفسنا ونخدع الواقع ونتوهم ان كل شيء خالد وان البقاء لنا دائم والعمر لانهائى ولن يتوقف ٠٠٠

ثم تأتى النهاية من حيث لاندرى ونتوقف جبرا لا اختيـار! ونصبح عدما وكأننا لم نكن ٠٠ ويأتى بعدنا اجيـال واجيال ، والزمان يدور واللحن الجنـائزى يعزف تارة ولحن ميلاد جديد يعزف أخـــرى ٠٠٠

اقاصيص تلك هى حياتنا وأوراق صفراء من شجرة الحياة تسقط كل يوم وتستبدل بها وريقـات خضراء تستبدل بأوراق واوراق ، والزمان يدور ونحـن نسافر ، ويأتى غـــيرنا آقوام وأقوام ليسدوا الفراغ وكأن لاشيء يتغير ولاشيء يموت ٠٠٠

ما هذه الخدعة التى نعيشها ، وهل هذه الحيـاة لا تستحق منا وقفة لننظر الى اين نسير والى متى نتغـافل ؟ والى أين نسير ٠٠ والى أين ننتهى ٠٠ والى متى نتغـــافل عن مصـــيرنا !! لكن السـؤال الـذى يجب ان نبـــدأ به هل يمكننـــا تغيــير مسار الحياة ٠٠ هل يمكننا أن نفعل شيء يحول دفة المركب الى اتجاه جديد ٠٠؟

وهل سيحدث أى تغيير لو غيرنا الاتجاه او المسار ؟ !

بالطبع لا ٠٠ فكل شيء يسير بحسب نظام ونحن يجـب أن

نمضى ونسير ولا نتوقف ٠٠ فاذا توقفنا فاننا سنظلم انفسنا ونضيع حياتنا عبثا ٠٠ لن يجدى البحث عن المستقبل شيئا ٠٠ لكنا يجب ان نؤمن ان حياتنا يجب ان تكون طاهرة حتى نستقبل عالمنا الذى نذهب اليه بقلب سليم وهذا هو أهم مافى رحلة الحياة التى بعدها سنقابل ربا كريما عفوا رحيما ٠٠ نريد ان نقابله وقد تطهرنا تماما من الادران وتخلصنا تماما من الاسقام واصبحنا نستحق حقا نيل ثوابه ورحمته ومغفرته ونعيم الآخرة التى وعد بها المؤمنين ٠

مقاومة رعونات النفس

تطلب النفس دوما الاسترواح والخمول ، وتتكاسل عن بذل الجهد عندما تراه عملا ثقيلا لا يتوافق مع ماتحبه ولايحقق ماتستهدفه من لذاذات الحياة ..

ورغبات النفس مطالب لاتشبع ، وحاجات لاتحد ، وهموم تلقى على كاهل الانسان دون أن يكون له جذور من الحق او الحقيقة وانما تستهدف انشغال الانسان بتلكم الهموم وحملها اينما حل دون طرح لها فى حله وترحاله ..

ومن هنا كانت النفس تحيا جل وقتها فى هم وغم وتتكالب عليها المنغصات التى غالبا ما يفتقد المرء مسبباتها المباشرة ويظل يبحث عن الأمن فلا يجد الى ذلك من سبيل ...

وتراود النفس بعض الامانى وتتسلط عليها الاباطيل فتتمرد على التكاليف او تثور على الواجبات وتهمل فى الفرائض المقررة وتتغافل عن العمل لله والجهاد فى سبيله تعالى ...

وهكذا يبدأ ابليس وزبانيته بث شكوكه وتغذية النفس بخدعه وخداعه .فتتضخم رعونات النفس وتفقد قدراتها على مقاومة تخاويف الشيطان وتحسينه للشر وتقبيحه للخيرات ...

وكأن النفس تدور فى حلقات مفرغة لاتسلم من احداها ، الا وتدخل فى آخرى ، تقنط من الرحمة ، وتكتنفها الوساوس

وتعتصرها الآلام النفسية التى تشفى بها دون أن تجد ملجـــأ يخفف عنها ذلك العذاب الاليم ...

لقد طالبت النفس فى بداية الامر بالاسترواح والخمـــول وخلدت الى الراحة والكسل وهاهى ان تعانى الفـــراغ النفسى وتبدو كأنها فقدت ارادتها واستسلمت لموافقة الاهواء وغـــواية الشيطـــــان ...

فمن ذلك الذى ينقذها من بلائها وقد اشرفت على الهـــلاك المبين ، ومن ذا الذى يأخـــذ بيديها فيعـــاونها للعودة ســـالمة الى طريق الاستقامة وقد تمردت من قبل عليه واستمرأت العصيان وانخلعت عن الحق رافضة سبيله وانبهرت بالهوى آملة تحقيـــق اللذاذات والشهوات ...

انه لأمر جد صعب أن تعـــود النفس الى سكينتهـــا وتستعيد صحتها،وترتوى من نهر الأمن العذب،وتشهد نعمة الطمأنينة .
انه لأمر جد صعب أن تعود وقد طال بها الامد فى قســـوة القلب وطيش العقل والبعد عن الصدق والحق والعدل ...

كيف السبيل اذن الى تسكين رعونات النفس وهى المتمردة الثـــائرة القـــانطة من رحمـــــة الله ... كيف يمكـــن تحظى بالطمأنينة وقد ظلمها الهوى واستبعدتها الشهوات وتلهى بهـــا الشيطان الرجيـــم ...

كان نســـيان الحقـــوق اول عهـــدها بالاثم ثم تمـــادت فى

رعوناتها فاستقطبتها الغفلة ومضت معها حينا من الدهر حتى اصيبت بالشرك الخفى فأضاع منها نـــور اليقين فتخبطت فى ظلمات الجهل والجهالة ولم تجد لها سندا معينا ٠٠٠

وتتضرع النفس أن يكتب لها الشفاء العاجل ، وترجو من الحق تعالى أن يخلصها من رعوناتها وتتعهد بالتوبة النصـــوح وتندم على مااقترفت من ذنوب وماتمرغت فيه من اوحال ٠٠٠

وتبدو النفس وكأنها تخلصت تماما من اقنعتها الزائفــة وتدثرت بازار الندم وتلفحت بالاستغفار وتوجهت بكليتها الى الله مستسلمة مسترسلة معه تعالى راجية خائفة ٠٠٠

لكن هل تصدق النفس هذه المرة وهى فى كل مرة تعصـــى ثم تتـــوب ثم تعصى ثم تتـــوب ٠٠ انها لماكرة حقـــا ٠٠ تدعى الصلاح اذا تغلقت امامها السبل ٠٠ ثم انها ترجع لرعوناتهـــا اذا ماوجدت سبيلا للهروب من اثقال الواجبات ومن مطـــالب العبادات ومن المكابدات والمعاناة فى سلوك سبيل الحق والعدل ٠

وانه لأمر مخجـــل حقا أن تطـــالب النفس بالمغفـــرة وقد تدنست تماما بالخطايا وتجرأت على مخالفة أمر الله المرة بعـــد المرة ، ولو كان الأمر يختص بحاكم من الحكـــام أو الى والى من الولاة لكان الأمر فى غاية الصعوبة ، وكيف يرحمها الحاكم أو يغفر لها وقد ارتكبت الخطايا والذنوب ماتنوء عن حمله الجبـــال الرواسى ٠٠٠

لكن الله تعالى وهو الغفور الرحيم كتب على نفسه الرحمة ، يتجـــاوز عن السيئات ويعفو عن كثـير ، فكلما لجـأت النفس العاصية الى محرابه قبلها ، وعندما وعدت بالتخلص من رعوناتها عفا عنها ، وعندما تلتجأ اليه لايردها خاسرة ابدا ...

وليس هو بالحاكم الانسان لكنه تعـــالى اعدل الحاكمين ، وبرغم ضعف الحاكم الانسان فانه اقل رحمة من الله تعـــالى حاكم الحاكمين وخالق العالمين وفاطر السموات والارض والناس اجمعين ...

انه العفو الرحيم التـواب برغم كمـاله وجـلاله وقدرته وقوته وسطوته وعلمه الكامل ...

يقبل الله تعالى فى رحمته اصحـــاب الخطايا ولا يكرهم وعندما يتوبون يبسط عليهم محبته ويقترب منهم كما اقتـربوا منه ويفيض عليهم من نعمه وعطاياه ومننه ...

فكيف تعصى النفس بعد ذلك وقد حظيت بكل تلكم النعـم والهبات ... وكيف ترجع الى غيهـا وقد اغدق عليها تعـالى بفضله ومننه مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلـب بشر ... كيف تعـــود هذه النفس الى الغفلة وتتمـــادى فى رعوناتهـــا بعدما بسط لهـا رب كريم ايـادى الخـير والحب والسكينة ..

أبعد النور ترجع النفس مرة أخرى الى الظلمة !!
أبعد ان تتعـرف الى طريق الحق تســلك النفس سبيـل الباطل !! عجبا للنفس الانسانية وأى عجب .

التوحيـــــد والتـذوق الجمـــالى

يعبر المؤمن عن علاقـاته بالاشـياء والافعـال والأعمـال تعبيرا مفردا فلا يحاكى ولا يقلد غيره ولا يتكلف فى انطباعـه بما يشاهد أو يراه أو يتذوقه من قيم جمالية أو موضوعـات خارجيـــة ٠

فالمؤمن صاحب تجربة ذوقية يستشعر الوجود من حوله من حقيقة التوحيد ، والتوحيد بهذا المعنى هو قمة الايمان ويأتى التذوق التذوق مقترنا بالتوحيد فكلما ازداد المتذوق ذوقا كلما كان ذلك دليلا على تكامل الايمان ٠

يقترن التذوق اذن بتوحيد الربوبية ، وهو علامـــة على أن المؤمن يشعر بالطمأنينة فى حجـر الله ويشعر أنه تعـالى العفو الرحيم الغفور الكريم الجواد الرحمن الجميل ٠ وهـــذا الشعور الذى يفيض به قلب المؤمن يجعله يتمثـل كل شىء على مشاكلة صفة من صفات الله فكل موضوع جمالى يعرض أمامه يمكن ان يقيمه ذوقا عن طـــريق مشاكلته للتناسق والتناسب والجمال الذى يراه فى بديع خلق الله وآياته فى الكون والخلق والابداع والحيـــاة ٠

فحكم المؤمن على الموضوع الجمالى لايتبع فيه هوى نفســـه أو ارضاء شهواته او اشباع مطالبه الحسية انما حكمه على القيم الجمالية تنبع من تذوقه لتوحيـد الربوبية ومايقتـرن بهـا من

آيات وبدائع وماتشتمل عليه من تناسب وتناسق وترتيب وانسجام ٠

انه يربط فى تذوقه للموضوع الجمالى بين عقله الراشد وقلبه المسافر فى ملكوت الله ، فاذا ماشاكل الموضوع الجمالى جمال الله ونحى نحوه،وتمثله المتذوق فى تناسبه وانسجامه فانه يرضى عنه برضى الله ويحبه بحب الله ٠

ومن هذا المنطلق لايمكن ان يخيب حكم المتذوق او ينحرف عن الصواب فاذا كان العمل الجمالى فى صورة تحاكى بديع خلق الله فانه يمتدح هذا العمل ويثنى على صاحبه ويشهد له بالصدق فى التعبير والتناسب والتناسق والنظام فى ذلك العمل الفنى ٠

هناك علاقة اذن بين المتذوق والفنان والموضوع الجمالى ويمكن ان نسميها بالرابطة الفنية ذلك ان كلا من الفنان والمتذوق يشربان من نبع لاينضب ابدا وهو توحيد الربوبية فكل منهما يستلهم الحقيقة الجمالية من جمال الله ومن نعم الله ومن بديع خلق الله فالمتذوق يحكم على العمل الفنى والفنان يؤديه ومادام العمل لله وبالله فانه لاشك عملا طيبا خيراً يؤدى به الفنان لرسالة عظيمة وهى اعلاء كلمة الله ٠

والتوحيد من جهة ثانية يتعلق بالألوهية كما يتعلق بالربوبية فاذا كان المتذوق والفنان ينظر الى العمل الفنى من خلال توحيد الربوبية فيثمر زهورا طيبة وثمارا يانعة من ثمار الله فانه من ناحية أخرى يؤدى الفنان عمله من خلال خشية

الله وكذلك الأمر بالنسبة للمتـــذوق فانه يصدر حكمه على القيم الجمالية من خلال ورعه وخشيته لله فلا يتجنى ولا يتجاوز حكم الله ·

فالعمل الفنى يرتبط بتوحيد الربوبية والاحساس الجمالى بالرحمة والعفو والجود الالهى كما يقترن بتوحيـــد الألوهية وذلك باحترام أمر الله والخوف من وعيده ·
فالفنان بين وعد ووعيد ورجاء وخوف وجمال وجـــلال عندما يؤدى عمله الفنى او يتذوقه ·

فالفن بهذا المعنى رسالة انسانية وهو عبارة عن عبادة لله تتخذ صوراً واشكالا تعبيرية يحاكى بها الفنان بديع خلق الله ويأتمر فيها بأمر الله ويجردها من الاهواء النفسية والشـهوات الذاتية وطلب الحظوظ وبذلك ينقى الفن من الشوائب والأدران التى تفسده وتبعده عن الفطرة السليمة ·

ان الفنان المؤمن سليم القلب ، وسلامة القلب تعاونه على ابراز الصيغ الجمالية فى صور متوازنة ومتناسقة ومتناسـبة ومنسجم بعضها مع بعض ، فلا يشوه الطبيعة كما يفعـل بعض الفنانين الأوربين ولايسخر من الانسجام فى الألوان فيضيـف اليها من خياله المريض صوراً قاتمة أو دموية أو عدوانيـة أو شهوية انما يشهد الفنان المؤمن على بديع خلق الله فيبرز جمال الطبيعة وتناسبها واتساقها ويحاول ان يستخلص منها العبـــر

والعظات التى تعين المؤمن فى ايمان وتعيد الضـــال الى حظيرة الايمـــان ٠

أما الذين يزعمون انهم يبتدعون من خيالهم المريض صوراً وتآليف مسرفة ومنحرفة عن التوازن والاعتدال فى الطبيعـــة والكون والحياة فانهم ليســوا حقيقة بفنـانين لأنهم يطبعـون قلوبهم المريضة على أعمالهم فيتخيلون أشباحا وصورا مفزعـة تحيل الجمال قبحاً والقبح جمالا وتجعل المتذوق اما رافضا لها أو تثير فيه الرغبات الكامنة، والرغبات الساقطة والدعاوى الفاسدة، فتجعله يتخبط بين الحقيقة والوهم وبين الحق والباطل وتلبس عليه الأمر فلا يستطيع اصدار الحكم السليم على الموضوع الفنى الذى أمـــامه ٠

ثم ان الصيغ والقوالب التى يبتدعها بعض المارقين على انها نماذج فنية ومذاهب جديدة يجب ان يقتدى بها انما ذلك تعبير مبتسر عن مرض فى النفس يحاول ان يجعل من القبح جمـــالا ، ومن الجمال قبحـــا ٠

وان القيم الجمالية الرائعة لايمكن الا أن تكون مشاكلـة لبديع خلق الله وللناموس الكونى ومحـــاكاة لبدائع خلـق الله وحكمه البالغة وحججه الدامغة ، فاذا زعم الانسان انه قادر بفنه على ان يبدل من هذا الناموس الكونى او ان يعبر من التناسـب والتناسق والانســجام فى آيـــات الله فى هذا الكـــون الفسيح العريض فانه كاذب يفترى على الحق ويكذبه الواقع الملموس ٠

والدليل على صدق مانقـــول ان هذه الصياغات الفنيــة الجديدة المبتدعة التى تظهر فى صور مذاهب ومزاعم ونعرات جديدة بين الحين والآخر ، لاتلبث بعد فترة وجيزة ، ان يخفت بريقها ونورها وينسى الناس آثارهـــا ، وتركن فى دهاليــز النسيان كأنها لم تكن شيئا مذكورا وينفض عنها الناس بعد أن كان بعضهم يلهو بها ، ويزعم انها آية فى الفن والجمال ثم اذا به يلقى بهـا جانبا بعد فتـرة وجيزة ، كأنها لم تكن بالأمس ما تهوى اليه الأنفس ، وما ترغب فيه القلوب ٠

ان الفن الحقيقى انما هو الثابت على مر الاجيال والفنان الذى يخلد ذكراه انما هو المؤمن المتوزن الذى يتقى الله ويأمل فى عفوه واحسانه ويخشى وعده ووعيده فيتجرد عن اهــوائه ويسمو بشهواته ليفتح الله عليه برؤى جديدة وقيما جمـــالية رائدة تشرح قلوب المتعطشين الى الجمال فى أبهى صوره واعظم مضامينه وبذلك يكون العمل الفنى تقـــربا الى الله ، بصـــورة مباشرة وكأنه نوع من العبادة فى محراب العمل من اجل الله ٠

الموسيقى

بين الحلال والحرام

لم نعثر على نص قرآني او حديث نبوى يحرم الموسيقى أو يبيحها ، لكن هناك قصة عازف المزمار الذى سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فسد أذنيه الى أنتهى من العزف ، ولاتدل هـذه القصة على تحريم الموسيقى أو اباحتها ، فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم انزل اليه بتحريمها ماترك ذلك لاجتهاد العلماء كما حدث فيما يتعلق بتحريم الخمر والميسر والدم والربا ولحم الخنزير والميتة ...

لقد دعى الرسول صلى الله عليه وسلم الى مأدبة قدم له فيها ضبـا (١) فعافت نفســه من اكله فقال أنا لا احـرمه ولكنى لا آكله ... والضب حيوان مازال يأكله بعض المسلمين ولايأكله البعض الاخر ولم يقل احد انه حرام ...

وفى رأينا ان الشعر كالموسيقى والشعر ليس حراما كله وليس حلالا كله ، رغم ان النصوص الواردة فى القرآن الكريم تستكرهه وتنبذ اصحابه ، وهناك تشابه بين الشعر واضغـاث الاحلام التى هى عبـارة عن احاديـث للنفس ، وهذا وارد فى الآيات الكريمة فى قوله تعـالى :

(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون)

الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٤

---

(١) مايزال العرب فى منطقة عسير يأكلون الضب الى الآن .

(بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر)
الانبياء : ٥

(وماهو بقول شاعر قليلا مايؤمنون)

الحاقه : ٤١

(وما علمناه الشعر وماينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين)

يس : ٦٩

فسرت هذه الايات من قبل الائمة من آهل السلف الصـــالح على ان الشعر كالكلام فيه الطيب وفيه المنــدوب وفيه الحرام ، واستندوا فى ذلك الى حديث رسول الله صـــلى الله عليه وسلم اذ قال :

(الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكـــلام ، وقبيحه كقبيح الكـــلام)

رواه عبد الله بن عمر

وروى ـ مثل هذا الحـــديث ـ الامام ابن سيرين عن ابى هريرة مع تغيير فى اللفظ قال قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم :

(حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام)

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الشـــعر الذى يثير النعرات والعصبات والغرائز ، ويمنع المسلمين ويحـــرم

سماع اشعار المجون والاباحة والهجاء والخمريات وغير ذلك من قبيح الكــلام ، لكنه كان يســمع بعض شــعراء المؤمنين الذين اخلصوا للدعوة ، وعبروا عن مشاعرهم بالقريض وقد عفــت نفوسهم وسلمت قلوبهم من الانفكاك عن الاخلاق الاســلامية ، واستظلت قلــوبهم بذكر الله وحب الاســلام فعبروا عن ذلــك بموسيقى الكلام ، وترنيم العبــارة ، وبلاغة المعنى ، وعمــق الفكر ، وطلاوة اللحن ، واستهدفوا من ذلك العبرة والحكمــة والتعبير عن الجمال باللفظ والمعنى فى الناموس الكونى وبديع خلق الله وآيــاته البينات البالغة الخلــق ... وقد استحســن الرسول ذلك منهم ...

ويمكن أن نقيس هنا الشعر بالموسيقى او الموسيقى بالشعر، والموســـيقى كلفظ لم يكن معــروفا أو مستخــدما لدى الامة الاسلامية حتى اوائل هــذا القـــرن ، فلمــا دخلت الموسيقى الغربية بـــدأ استعمال هذا اللفـــظ كبديل للفظ « الآلتية » الذى كان مستخدما فى مصر وبعض الاقطار العربية ، ولقــد كان الامــام ابو حامد الغــزالى يستخــدم لفظ السماع (١) » ويقصد به سماع المنشدين وضاربى الدفوف والعـــازفين على الأوتار ...

ويستشهد ابو حامد الغزالى على اباحة الضرب على الدف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سمح للسيدة عائشة رضى اللــه عنها عندما أرادت أن تشاهد جماعة من الحبش يغنون ويضربون

---

(١) هذا ماذكره فى كتابه الاحياء فى باب السماع .

على الدفوف جوار بيت رسول الله . سمح لها بمشاهدتهم ووقفت خلفه عليه الصلاة والسلام وقد وضعت يديهـــا على كتفه عليه الصلاة والسلام وهم يعزفون ويغنون ...

فالموسيقى اذن كالشعر حسنها حسن وقبيحهـا قبيح ، فاذا كانت الموسيقى خليعة لاتعبر الا عن النعرات والشهوات الهابطة ، او تخرج الانسان عن عقله واتزانه واعتدال مزاجـه بما تثير في النفس من الاهـواء فيعبـر عنها بالصرخـات المجنـونة ، والصيحات الموتورة ويهتز عند سماعها بحركات عابثة . وبكلمات فاضحة ، وبآهات داعرة ... فان هذه الموسيقى مما يشجبهـا الاسلام ، وينفر منها الدين القيم لأنها اسراف وابتذال وسـفه وغلو وافراط ليست من الشريعة في شيء ...

ولاشك ان الموسيقى التي تقدم لشبابنا وبناتنا اليوم والتي تم استيرادها من الفنون الغربية الحديثة اكثرها من هذا النوع البغيض ، الذي هو عبـارة عن تشنجات وصيحـات وصرخـات ونشاز يبتعد بالانسان عن الفطرة السليمة ، والعقل الرشـيد والنفس المستقيمة ...

ان هذه الموسيقى الصاخبة تعبر عن الفراغ النفسي ، وتؤكد على الزمـت والقلق والضيـاع الذي يعيشه عاشـقوها والذين يستجيبون لها ...

ان الجمال الفني الحق ليس في الاثارة والازعاج والعويل

والصراخ ، انما الجمال الحق فى الانسجام والتناسق والتناسب فى غير اسفاف او ابتـذال ، فالطبيعة تعبر عن الجمـال بهـذا المعنى الخالد والنواميس الكونية تزكى فى النفس حب الجمال والله تعالى يبين أن كل شىء خلقه يعبر عن جمال يغذى الوجدان، ويملأ القلوب سعادة ونشوة ، يقول تعالى :

« خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، والانعـام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيهـا جمال حين تريحون وحين تسرحون »
(النحل ٤ ـ ٦)

ان الجمال الحق ليس فى الجمال الحسى الشـهوى المقيد ، وانما فى الجمال الغير محـدود واللامقيد . لأنه فن صـادق يعبر به المؤمن عن ايمانه ببديع خلق الله وآياته البينـات فى الكون العريض ...

ان الفـن الحق جمال حـق لانه حقيقة وجدانيـة ، تزكى النفس وترتفع بها عن الأدران ، وتسمو بها عن الضـلالات ، والموسيقى الحق فنان مؤمن يواكب الحقائق الكونية التى تسير فى نظام وتناسق وانسجام وترابط ، والموسيقى الحقة لاتعرف وانما تعبر عن النظام البديع لخلق الله فى السماء والنجـوم والكواكب والبحار والانهار والوديان والجبال والرياح .... وكلها تصدر الحانا وانغاما فيها جمال ...

فالبلابل تشدو ، والطيور تغرد ، والرياح تصفر ...

يقول ذو النون :

الهى ما أصغيت الى صوت حيوان ، ولا الى حفيف شـجر ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظـل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقة رعد ، الا وجدتها شـاهدة ، بوحدانيتك دالة على انه ليس كمثلك شيء »

البحث عن الخير الاسمى

لاشك أن من اصعب لأمور على المرء ربط الفكرة الطيبة بالسلوك العملى ، فهناك عوائق كثيرة تقف حائلا دون تنفيذ مايراه المرء أحق بالاتباع ومايشعر أنه الواجب العمل به ٠

ولقد شغل المفكرون من قديم الزمان بهذه القضية ، وأدلى كل منهم بدلوه فيها وناصر هذا المفكر بعض المستجيبين له ، وعارضه البعض واصبحت القضية الان معقدة كل التعقيد . الا انه يتوجب أن نضع التساؤل الآتى :

هل يجب أن نعمل على تطبيق مانراه خيرا لنا ولغيرنا !!

ولكى نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أن نحلل اولا مانقصده بالخير لغيرنا وبالخير لانفسنا فالاتفاق على المعانى التى تبدو عامة وشاملة هو الأساس لاصدار الاحكام والافعال ٠

يبدو لنا أن الخير لانفسنا ولغيرنا ليس أمرا يتفق عليه الناس جميعا ، فالجانى فى جريمة ربما تكون اجابته عند سؤاله لماذا ارتكب هذا العمل ؟ يرد - وهو مطمئن - انه انما فعل ذلك لخير الناس ، وكذلك الأمر بالنسبة لاصحاب الافكار الخاطئة فانهم يدافعون عنها حتى الموت برغم شذوذها وبعدها عن الفطر السليمة والرشد والتعقل ٠٠٠ واذا ما سألتهم لماذا يدافعون عن تلك الآراء الفجة التى لاتستقيم مع العقل والمنطق

السليم ··· أجابوك فى لغة واحدة كأنها لحن نشاز : انمـــا
ندافع عن الخير لانفسنا وللناس جميعا ···

وفى تصورنا أن الخير واحد فى غايته . ولايمكن تجزئتـه الى اجزاء من الخيرات ، بعضها خيرا وبعضها شرا ، فالعمل الذى يحقق خيرا لانفسنا ليس بالضرورة عملا يحقق الخير للنـاس ؛ بل ربما مايحقق من الاعمال خيرا للناس ، يتعارض مع ماينشده الفرد ـ فى تصوره ـ من خيرات ···

وكأن الخير بهذا المعنى مصطلح من الصعب الاتفاق عليـه بين الناس جميعا ، لأن كثيرا منهم يراه فى افعال واعمال يراها غيرهم شرا مستطيرا ، وهكـذا تختلف المحكـات والمعـايير عنـد اصدار الاحكام على الافعال والاعمال والسلوك العملى ···

القضيـة اذن فى الحكم على معنى الخير تتصـل بالمفـاهيم والقيـم والعادات والاعـراف ثم بالبيئة المحليـة ··· ويبقى التساؤل الذى طرحنـاه أول الأمـر بلا اجابة شافيـة وهو هل يتوجب أن نعمل على تطبيق مانراه خيرا لانفسنا ولغيرنا ···

مادمنا قد وصلنا الى الباب المسدود فيما يتعلق بصـعوبة الاتفاق بين خير الفرد وخير الجماعة ، فانه يجدر بنا أن نستبعد مايراه الجماعة خيرا لهم الى حين ، كما علينا ان ننحى جانبـا ماتراه عواطفنا الجياشة من صنوف الخير لانفسنا حتى يمكن آن ننظر الى هذه القضية باستقامة بعيدا عن الاهواء والشهوات ··

ولن يتحقق لنا ذلك الا اذا تزهدنا فعلا فى تحقيق المطالب العاجلة لانفسنـا أو موافقة غيرنا مما تربطنـا بهم صـلات وعلاقات عاطفية أو أبوية أو قرابة من اى نوع ...

واذ تم لنا ذلك فانه من الممكن بعد ذلك النظر الى الخـير فى عمومياته وشـموله دون التدنى الى التفـاصيل الجزئيـة التى تحرمنا من اصدار الحكم السديد على الأفعال والأعمال ...

وعلينا أن نقفل راجعين بعد أن اكتشفنا ذلك السراب الذى ضللنا كثيرا ، لنعود بتصميم أكيد ونية صادقة فى استيضـاح معنى الخير للجميع .. أى الخير الاسمى لكل الناس ..

ولا أخال ان هناك من طريق أقصر يوصلنا الى الحقيقـة ويساعدنا فى صدق واخـلاص للامساك بخيوطها الذهبيـة والوصول الى بر الأمان فى يسر وسهولة ، لا أخال أجد طريقـا أقصر من الطريق الذى رسمه لنـا الله وأمرنا تعالى باتبـاعه ونهانا عن سلوك غيره ووفقنا الى العمل به ثم أمدنا برعايتـه وعظيم عنايته وبشرنا بالثمرات اذا ماكابدنا فى تحقيقه وانعم علينا بنعمه الظاهرة والباطنة مادمنا نخلص فى تحقيق ماأوصانا به تعـالى ...

ولكى يكون خير الله مفهوما لنا جيدا علينا أن نسترجـع كتابه الكريم لنستعيد آياته ، يقول تعالى فى كتابه العزيز :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »

(البقرة : ٢٦٩)

والخير مرتبط بالايمان ارتباطا وثيقـــا ، وهذا وارد فى قولـه عـز من قـائل :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية »
(البينة : ٧)

فالحكيم هو المؤمن لأنه بايمانه قد غلب هوى نفسه واستقام فى طريقه ، فلم يعد يرى الخير فى تحقيـق لذاته أو اشـباع شهواته ، وانما الخـــير كل الخير فى اتبـاع أمر الله ، وربما مايحسبه هو خير لنفســـه هو شر له ، ومايراه شرا له هو خـير فى عاقبتـــه :

« وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »
(النساء : ١٩)

فالخير للنفس انما فى طاعة الله والعمـــل بأوامره وليس الخير مقرونا بالدنيا فحسب ، بل الآخرة خير وأبقى ، وهو الذى يحقق السعادة فى الدنيا وفى الآخرة :

« وما تقدموا لانفسكم من خير ، تجده عند الله هو خـيرا وأعظم أجـرا »

(المزمل : ٢٠)

فالأخيار على الحقيقة ، هم الصابرون الطائعون المؤمنون بالله واليوم الآخر ، يقول عنهم عز من قائل :

« وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار »
(ص : ٤٧)

فاذن العمل بما تهوى النفس ليس فيه بالضرورة خيرا . حتى ولو ظهر أمام الناس انه أولى بالاتباع سواء صدر هذا العمل من جماعة أو افراد ، اذ العمل الذى فيه الخير الكثير ، هو الذى يتوخى تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى والنهى عن نواهيه دون أن يرتبط ذلك بمنفعة ذاتية أو مصلحة شخصية :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى »
(الزلزلة : ٧)

أما الذى يظن اغترارأ بنفسه الخير ، ويعمل متوهما أنه على الحق دائما ، فهو فى الواقع يشابه ابليس فى سلوكه مع ربه ، كما ورد على لسانه فى قول عز من قائل :

« قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين »
(ص : ٧٦)

وخلاصة القول فيما يتعلق بالتساؤل الذى أوردناه ، ماهو الواجب الاتباع ؟ خير النفس أم خير الجماعة ؟

انه يتضح جليا ، أن الخير كل الخير للفرد والجماعة هو اتباع الخير الذى أوصانا الله باتباعه ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالعبادة أم بالتفكر أو بالسلوك العملى ـ لأن ما يظنه الانسان شرأ له هو عند الله ، ربما يكون خيرا ، فالانسان ، مهما كان ، عاجزا فى البداية والنهاية عن تقرير ماهية الخير ، الا اذا كان متبعا أمر الله ، وحججه الدامغة ، وحكمته البالغة . ويقيني أن ذلك لن يتأتي الا بالطاعة والصدق مع الله ، والاخلاص جميعا .

حديقة الأنعـــام الناطقة

« انما يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام »

اذا زرت حديقة الحيوان ، ورأيت بعض القردة تســلك سلوك الانسان وتقلد حركـاته وسكنـاته . عجبت أشد العجب وابتسمت ضاحكـا ، واذ وجدت بعض أنـواع الطيور تصـدر اصواتا كأنها كلمات متقطعة أو جمل متكاملة واذا نطقت ببعض الالفاظ رددتها محـــاكية لك ··· اذا حدث ذلـك ، وكثـيرا ما يحدث تملكتك الدهشة وأثارت فى نفسك الفضول والغرابة ·

لكنك اذا قرأت أو سمعت أو شاهدت بعين رأسك بعض بنى الانسان يفعلون مايفعل الحيوان ، ويسلكون سلوكه ، فيلعبون بلا هدف واضح ، ويعبثون بدون شعور بالمسئولية والخطـــر ، ويلهون لهوا غير برىء وكأنهم فى حوض سباحة أو فى غابة ·

لو رأيت او سمعت او شاهدت شيئا من ذلـك اختلفت فى نفسك الاحاسيس وتغـيرت الانطبـاعات ، وتباينت الاحكـام وبحسب ورعك وتقواك وجودا وعدما يتحدد موقفك مما تـراه وتسمعه ···

هناك مواقف متعددة يمكن ان تقفهـــا حيال العبث الــذى امامك ، فاما أن تنكره أو تحاول أن تقومه بيدك أو بلســانك أو بقلبك واما أن تبتعد عنه أو تتجنبه كموقف سلبى حيــاله ، واما ان تبتسم له وتسعد به وتشــارك فى احيائه وتعــاون فى

انمائه ثم تنصرف سعيدا مسرورا وقد انطبع فى نفسك فتحاكيه وتقلده ماوجدت الى ذلك سبيلا ٠٠

لكنك لو تأملت نفسك في موقفك الاخير واستعدت صوزة موقفك من القردة والطيور فى حديقة الحيوان لوجدت أن هناك تماثلا بين الموقفين برغم التباين بينهما فالموقف الاول مع الحيوان والموقف الثانى مع الانسان ٠٠٠

لو تأملت الموقفين حقا وصدقا لاستخلصت العبر وخرجت بحزن وأسى على ارتكاس الاخلاق فى هذا الزمان ونكوص انسان القرن العشرين الى موافقة الغرائز الحيوانية وارتداده السلوك الشهوانى فى المناحى المختلفة للحياة ، وكأنه فقد عقله الرشيد وهو الجوهرة الفريدة التى وهبها الله له ، وقد غاصت فى الأوحال ، وكأنه حجب عن قلبه النور فما عاد يرى شيئا سوى خيالات فى الظلام واشباح تحركها خيوط وكأننا فى مسرح للعرائس ٠٠٠ واما النفس فلاهثة تجرى وراء اشباعات البطن والفرج ولاتشبع ابدا من جوع ٠٠٠

تلك هى حديقة القرن العشرين الناطقة ٠٠٠ استبدلت الحيوان بالانسان وبدلا أن يقلد ويحاكى فيها الحيوان الإنسان، أصبح شعار الحديقة الجديد محاكاة الانسان للحيوان ٠٠٠

واذا كانت محاكاة الطفل الصغير للكبير تمد مدخلا لسعادتنا وسرورنا ، وكذلك فاننا نفرح كثيرا عندما تقلد القردة والببغاوات أفعال الانسان وكلامه فهل يمكن أن يكون الامر

كذلك اذا كنا نحن البشر العقلاء نهبط لنفعل مايفعله الصغـار فنحاكي الطفل ونقلد الحيوان فى سلوكه وتصرفاته وحياتـه فى الغابة والصحـراء ٠٠

ان قضية الذين لايعرفون ماهى رسالتهم فى الحياة وماهو الواجب اتباعه ٠٠ انهم لايتأملون ولايتفكرون ٠٠ أهملوا ذلك العقل وهو امانة لديهم واتبعوا الاهوا ء وهى ضد فطرتهم التى فطرهم الله عليها ٠٠٠

والعجيب أن الحيوان يسلك فى اشباع حاجـاته الغـرائز المجبول عليها وذلـــك فقد رفع عنه التكليف ، فما يفعله انمـا يفعله بمقتضى طبيعته ٠٠ الا ان الانسان عندما يسلك سلوك الحيوان فيزنى وقد أمر بالعفة ، ويسرق وقد نهى عن السرقة ، ويقتل والقتل من اكبر الكبائر ٠٠٠ فكيف يمكن أن يبـــرر للانسان هذه الافعال المستقبحة والاوصاف الذميمـة والسلوك البهيمى الشائن ٠٠٠

رب قائل أن الانسان ربما يقع فى الزنا لكنه يرجع عن اثمه ويثوب الى رشده ويندم على فعله ، فلا يمكن ان يشبه بالحيوان الاعجمى الذى لا يفرق بين الحلال والحرام ٠٠٠

والحق أن ذلك يحدث فى الواقع المشاهد ، فالانسان يعصى ويتوب ، ويؤمن ويكفر ، لكن ماهو الرأى فى ذلك الانسان الذى أصبح جل همه ، ومبلغ غايته ، أن يسعى لاشباع اكبر لذة ممكنة ويفلسف الأمر ويبرره بدعاوى الحرية واختيار المواقف بـــل

انه يقارب بين موقفه فى اشباع اللذات ونهمه فى مقارفة الرذائل وبين موقف الانسان الباحث عن الخير الأسمى ، المجاهد العالم العامل العارف بالله ··· انه يجعل الزانى السارق القاتل على قدم المساواة مع الطاهر التقى سواء بسواء ··· وفى ذلك يقول جان بول سارتر فى تبجح العاهر وقد فقد كل حياء !

ان اعتى القتلة واعظم القدسيين فى درجة واحدة من حيث العظمة والجلال لأن كلاهما قد اختارا بجرأة وحرية موقفا اختياريا ···

ويريد هذا المتفلسف أن يربط بين مقولتى الخير والشر فيجعل ماهو شر يمكن أن يكون خيرا وماهو خير يمكن ان يكون شرا فلا فرق بين الخير والشر اذ أن كل منهما نسبى ···

وهو يردد ماقاله السوفسطائيون الاقدمون من الانسان معيار الاشياء مما يراه خيرا فهو خير وما يراه شرا فهو شر ، لكن جان بول سارتر وتلامذته لا يأتون بالجديد وانما يحاكون قول السوفسطائيين بصياغات مستحدثة تتفق وطابع العصر ··

وكأنهم خرجوا على العالم بموضة فكرية كموضة الأزياء التى اقتبست من الفراعنة القدماء مع بعض الالوان الجديدة ··

والتاريخ الانسانى يشهد على صدق مانقول ، فان هؤلاء السوفسطائيين الجدد لم يبتكروا جديدا ولم يطوروا قديما ولم يستحدثوا شيئا ·· انهم من المتبطلين السلبيين الذين

يقلدون كل ماهو شاذ وقبيح وبهيمى ومخالف للعقـــل الرشيد والنفس المستقيمة والقلب السليم ··

انهم يهبطون بوعى او بلا وعى الى حديقة الحيوان فيحاكون أفعاله ويترسمون خطـاه ويسلكون سـلوكه ثم يزعمون آخـر الأمـر انهم يتفلسفون ويختـرعون فكـرا جديدا ونظريـات مستحدثة ··

هذا التفليس الفكرى يقود دعواه الكثـــير من المستغربين فينشرون الفساد والافساد ويهبطون بالانسان الى اسفل سافلين وقد خلقه الله فى احسن تقويم ··

انهم يأخذون الانسان الى حديقة الحيوان لا ليشاهد انواعه واجناسه بل يشدون على يديه ليسلك سلوكه ويحاكيه فى الفكر وهو أعجمى وفى الفعـــل وهو غرزى ، وفى العمـــل وهو غير مكلـــف ···

قرأت وأنا فى غاية الحزن والاسى دعاوى جان بول سارتر فى عدد ديسمبر ٨١ من مجلة عالم الفكر ، وعجبت كيف لا يرد عليه الكتاب من اصحاب الفطر السليمة عندما يزعم أن اللواط ليس شرا انما احد اللذات العظيمـة وان القاتل هو بمثـــابة قديس ···

وكأننا نروج فى هذا العصر الذى تقـدمت فيه الوســائل والمستحدثات والمكتشفات الهائلة ··· نروج فى هذا لا للعقل الانسانى وانما للسلوك الحيوانى ···

فهل مل الناس من عقـــولهم ؟ أم ارادوا استبدالها بشيء مستحدث وجديد ·· !! ·· ربما ارادوا التغيير فلم يجـــدوا الا صناعة جديدة اسموها حديقة الانعام الناطقة ···

وفى هذه الحديقة خلعوا عنهم عقولهم ، وانغمسوا بكليتهم، يعيثون فى الارض فســادا وافســادا ··· فيتمردون على كل القيم الطاهرة ، ويرفضون كل صلاح واصلاح ···

الى أين يتجه هذا العالم وقد اوشك القرن على الرحيـــل ، ان القردة فى حديقة الحيوان وفى الغابة لم تستطع أن تصنـــع حضارة وقد عاشت منذ ملايين السنين وكذلك سائر الحيوان ··

فهل ياترى يريد هؤلاء المفكرون الجدد من بنى الانسان أن يجربوا حياة الغابة ام يبنون حديقة الانعام الناطقة وبئس ذلك فكرا وسلوكا وحياة ···

لماذا يسعى الانسان فى هذا العصر الى تعاسته ، ويهرب من الحق الى الباطل ومن الجنة الى الجحيم ··· لماذا يركض لاهثـــا ليرمى بنفسه فى النار ؟ ···

فقد انسان العصر ايمانه بربه ، فضيـــع آخرته بشهـــوات الدنيـــا وملذاتهـــا ··· وهاهو يعيش الان كالانعــــام أو أضل سبيلا ···

ومن الواضح أنه لمن الصعوبة بمكان اخراج انسان هـــذا

العصر من هذه اللعبة الخطرة التى يلعبها والتى توشك أن تدمر جسمه ونفسه وعقله جميعا ...

وماذا نستطيع أن نفعل والحال هذه الا أن نتوجه بقلوبنا وجوارحنا الى فاطـــر السموات والارض العفو الرحيـم ... نتوجه اليه ليرحمنا ويهدى من شاء الى سواء السبيل .

حديقــة الحيـــاة

لكى تقتطـف الورود فى حديقـة الحياة يجب ان تتحمـل بعض الآلام ولاتتوقف عندما تعترضك بعض الاشواك لتفسـد عليك بهجتك واستمتاعك بشـذى الورود وما تحيطـك به من النشوى والسرور ٠

انك الآن تتوقف عن السعى فى تحصيل الورود٠٠فقدغلبك شيطانك واضـــاع عليك عملـك ووافقته نفسـك فتبطلـت واستسلمت للاهــواء ٠٠

ولا تظن انـــك بانسحابك من حديقة الحيـــاة قد غنمت السـلامة وبعدت عن الاشـواك فان اشواك التبطـل والسلبيـة والانعزال ، لأفتـك بك من أشـواك الـورود ، ولن يتركـك شيطانك سعيدا آمنا أبـدا بل سيكدر عليـك حياتك ويحملـك ما لاتطيق فكرا وعملا وسلوكا ، ثم يوقعك فى أضغاث الاحـلام وحمى الاباطيل فلا تفيق منها ابدا ٠٠

هذه حقيقة حديقة الحياة اما ان تدخلها زارعا وحاصـدا متحملا لاشواكها صابرا فى حرثهــا وريهـا وبذرها ومنتظـرا لثمارها ، واما واقفا ببـابها ناظرا اليهـا من بعيد خائفـا من اشواكها مستثقلا ريها وحرثها وبذرها متشككا فى حصادهـــا مرتابا فى ثمارها ٠٠٠

والذى يفعـــل ذلك ، فى النـاس كثير ، يدخـل ويخرج

من حديقة الحياة دون ان يؤدى رسالته وكأنه لم يكن فى حقيقة الامر موجودا ..

حديقة الحياة فيها معاناة ومكابدة ومشقة لكن ثمـــارها لذيذة الطعم يتمناها الجميع .. لكن بعضهم يريد أن يأكـــل الثمار او يستمتـــع بشذى ورودهـــا دون ان يتعب نفســـه فى زراعتها او يحصد مازرعه غيره وينسب الجهد المبـــذول فى ذلك الى نفســـه ..

هكذا امر المجاهدين والقاعدين والقانطين ، فالمجـــاهدون يحرثون ويبذرون ويروون حديقة الحياة ، والقانطون يخرجون منها كما دخلوهـــا أول مـــرة لايفعلون شـــيئا سوى التهجـــم على المجاهدين والعاملين والسخرية من المؤمنين والصادقين . وامـــا القاعدون فانهم وان فضلوا العاملين المجاهدين على القانطـــين الا انهم لم يقوموا بالعمل ولم يبذلوا العـــرق والـــدم واكتفوا بالكلام او ساعدوا بالعدة والعتاد ..

هذه حقيقـــة الحديقة التى نعـــايشها ، فبعضهم حديقتـــه جرداء لا زرع فيها ولا ماء وبعضهم حديقته مهملة تحتـــاج الى عمل متواصل لرعايتها وصيانتها حتى تثمر ثمرا طيبا ، وبعضهم لايكل من العمل ولا يسأم من الاجتهاد ويحاول ان يجعل حديقته جنة الله فى ارضه فيرعاها حق رعايتها ويبذل قصارى جهـــده ليجعلها فى احسن تقويم حتى يقابل ربه بوجه حسن وقد رضى عن ربه ورضى ربه عنه .

ولقد كثرت فى عالمنا المعاصر الحدائق الحياتية المقفـــرة وبدا للناس ان القنـــوط هو الطـــريق الامثل وانســاقوا وراء الغواية ووافقوا الهوى فاضاعوا انفسهم دنيا وآخرة ... فقد كسروا المحراث واتلفوا البذور وحرقوا مابقى لهم من اشجــار واوراق خضراء ..

لقد ظن القانطون كذبا وافتراء ان الدنيا بلا جهاد وسعى افضل كثيرا من المكابدة والمعاناة فى سبيل الحصول على الثمار . وزعموا ان العاملين الاغبياء الجهلاء ، ولو صدقوا مع انفسهم لعرفوا انهم هم الاغبياء الجهــلاء ..

ان الزمن يجرى وهم نائمون والعمـــــر يسرع وهم لاهون واليقين آت بعــد سنين أو أيــام أو لحظــــات وهم فى غفلتهم يعمهون .. فمتى يستيقظ هؤلاء ويشعرون ..

لقد انتقدت موقف المتبطلين والقانطين .. ونسيت نفسى فما اكثر الكــلام واسهله وما اقل العمـــــل واصعبه وما انــدر الاخلاص واعظمه ...

يا أيتها النفس ارجعى عن غيك واغسلى أوساخك وطهــرى زيك فالعمر قصير والحياة قليلة المتاع ، والمتاع متاع الغرور .. ابدئى بحرث ارضك واعملى لرعايتها واصبرى وثابرى حتى تثمر عند ذلك وسيرى الله من منكم أحسن عملا ..

... لماذا يعيش الانسان ؟

برغم أن السؤال يبدو لنا سهلا ، الا انه عند الاجابة عليه قد يصبح الأمر غـاية العسر والصعـوبة ، فان الاهـداف التى يعيش من أجلها الناس جد مختلفة ، بالاضافة أن آقوال الكثير من الناس تختلف عن أعمالهم ، كما انه فى بعض الاحيان تتطابق الاقوال مع الافعال الا ان ذلك لايرتبط بالاخلاص وهو الامـــر الهام الذى تتوج به حياة الانسان ...

ان الهدف الذى يعيش من اجله الانسان قد اختلط عنـــد كثير من الفلاسفة والمفكرين ، فهناك نفر منهم يزعم أن تحقيق السعادة هدف الانسان وغايته ، ويدعى نفر آخر أن اللذة هى : الغاية التى يعيش من اجلها الانسان ، ويعارض البوذيون هـذه الآراء ، ويرون ان التخلص من الالم هو الغاية المنشـودة ، وانه متى تخلص الانسان من الالم فى هذه الحياة فانه بذلك يكون قد حقق النجـــاة ...

ويرى بعض الفلاسفة أن تحقيق الخير هو الغـاية التى من اجلها يعيش الانسان ، وأن ذلك انما يتحقق بالانتصـــار على الشر فى نفسه اولا ثم فى الخـــارج ، وهذا يتطلب التخلى عن مطالب الحس والتزهد فى الشهوات باعتبارها طريق الشر ...

ومن الفلاسفة من يرى أن القيام بالواجب المنوط به هـو الهدف الرئيسى الذى من اجله يعيش الانسان ، وأن التقصـير فى الواجب هو سبب شقاء الانسان وتعاسته ...

لقد عرض المفكرون والفلاسفة خلاصة تجاربهم ، وبينـوا لنا وجهة نظرهم فيما يتعلق بالتساؤل الذى سقناه ، فمن قـال بالسعادة دون أن يبين لنا كنه هـذه السعادة ومن زعم ان اللذة هى التى يعيش من اجلها الانســـان ، الا انه لم يوضح لنا نوع اللذة المنشودة ، هل اللذة الكمية أم اللـذة الكيفية ، أو بمعنى آخر اللذة الحسية ام اللذة العقلية والمعنوية ٠٠

ولقد ارتأى بعض المفكرين ان تحقيق الخير الهدف الاسمى الذى من اجله يعيش الانسان لكنه يبقى هذا الخير غامضـا اذا لم يحدد تماما فهل هو خير الجماعة ، او خير الاثنين معا ٠٠

أما الذين يعتقدون أن الواجب ٠٠ هو هدف الحياة ، فان هذا الهدف يعد أمـرا غير واضح المعـالم ، فان اصحاب الافكـــار الخاطئة يظلمون او يسفكون الدماء فاذا سألتهم لمـاذا يسفكون الدماء زعموا أنهم انما يقومون بواجبهم ٠٠

ولاشك ان هؤلاء الفلاسفة قد توصلوا الى جزء من الحقيقة فيما يتعلق بالتساؤل المطروح ، لكن ليس هناك من احد قد وصل الى كبد الحقيقة فيما قد عرضوه لنا من تجاربهم خلال التاريـخ الانسانى ٠٠ وليست هناك اجابة شافية تريح النفس ، فنستطيع وفقها أن نسلك طريقنا فى الحياة ، وفق منهج واضح معلوم ٠٠

ولربما تكمن الصعوبة فى الاجابة عن هذا التساؤل . فى أن الانسان فى حيرة من أمره ،فهناك دوافع وبواعث نفسية ،وهناك

حاجات ومطالب بيولوجية . وهناك طموحات عنقية يتعـــارض بعضها مع بعض بحيث لا يستطيع أن يحدد الانسان على وجـــه اليقين ، ايهما الجدير بالاتباع وايهما يحقق الهـــدف الاسمى للحيـــاة ..

لو علم الانسان الطـــريقة المثلى التى يتوجب أن يعيش وفقها ، لتوصلت الانسانية اليـــوم الى الرقى الكامل نفســـيا واخلاقيا واجتمـــاعيا ، لكنها ســـتظل فى حيرة دائمـــة مادامت لاتصل الى حل لهذا التساؤل المطروح ...

لم يطلب الله تعالى من الانسان أن يطرح هذا التساؤل الذى لم يستطع ان يحله الى الان ، انما اراد الانسان وحده أن يستخدم تجاربه المبتسرة وعقلـــه العاجز ليلف الخيـــوط حول نفســـه فلا يستطيع أن يتخلص من قيد السؤال او التساؤل المطـــروح : لماذا يعيش الانسان ؟ ... ولو اتجـــه بقلبه السليم ونفســـه المستقيمة وعقله الرشيد الى فاطره وخالقه وموجده ، العـــالم بما خلق ولماذا خلق لوجد الجواب عنده واضحا صادقا ...

لكن انسان العصر وكل عصر اراد أن لا يتقيد بكلام الله . وأن يهدى بهدى عقله فأضله ، وفقد الأرض الصلدة التى يمكن ان يقف عليها ، فوقع فى واد سحيق فى الظلمات ...

ان الاستغناء عن الله امر مستحيل بالنسبة للانسان فـــاذا تصور أن ذلك ممكنا ، عاش حياته تعيسا شقيا ثم خلد بعـــد

انتقاله فى نار الجحيم ، فلا عرف حقيقة وجـوده ولا اسـتلذ بحياته ولا نعم بلذات النعيم ..

ان الاسترسال مع الله امـــر واجـب على كل انسـان ،ـ والاستسلام له تعالى يبعد الانسان عن الشك والريبة والضلال . والعمل بما أمر الله يفتح للانســـان باب العلم والالهـــام ، فلا يعجزه سؤال ولا يحيره جواب ، انما يجد فى قلبه نورا وفى عقله نورا وفى نفسه نورا يبصره بطريقه ويهديه الى سـبيل الحق والرشاد ...

ان سبب عدم اصابة كبد الحقيقة لدى الفلاسفة والمفكرين. هو انهم ينازعون الله فى ملكه ، فيغترون بعقولهم ، وينطحون برؤوسهم فى حوائط المعرفة الصلـدة ، فلا يحققون لانفسـهم الا الالآم والاوجاع ...

اما المؤمنـــون حقا ، فانهم يعـرفون طريقهـم ، ومن ثم لايعجزهم الاجابة عن السؤال المطروح ، فلا اللذة ولا النجـــاة ولا السعادة ولا ارادة الخير ولا الواجب هى الاهداف الرئيسية التى من أجلها فحسب يعيش الانسان ...

انما الهدف الذى من اجله يعيش الانسان هو عبادة اللـه وعبادة الله تتـركز فى العمـل له ، والنهى عما نهى تعـــالى ، وبذلك يتحقق اللذة والسعادة والخير وهذا هو الواجب المنـوط بالانسان تأديته ...

ورب قائل أن هناك علاقة بين ماذهب اليه الفلاسفة وبين عبادة الله ، وردنا على ذلك أن ليس هناك علاقة البتة بين اللذة او السعادة او ارادة الخير او اتيان الواجب ، مادام الناس غافلين عن حقيقة العبودية ...

فالاصل الصحيح ينبع من عبادة الله ولا يمكن استبدال هذا الاصل الصحيح بغيره كان ماكان ، فاذا وضعنا اللذه مثلا غاية يعيش من اجلها الانسان فانه سيعمل على عبادة الهوى ويضيع عمره فى طلب الشهوات ، واذا جعل السعادة اساسا للحياة اظلمت حياته ووقع فى الشقاوة والتعاسة لانه لن يحقق بنفسه أو بعقله هذه السعادة المتوهمة ابدا ...

والامر كذلك فيما يتعلق بارادة الخير ، اذ يجوز أن يقترف الآثام وهو يظن انه يفعل خيرا نتيجة لتسلسل باطل ... اذ الاصل الذى يهدف اليه ظنى وليس يقينى ..

ان الاصل الصحيح هو الهدف النهائى الذى يمكن ان يتمسك به الانسان ليوصله الى النجاة أو بر الايمان . أما القول بأنه يمكن النجاة بدون الاستعانة بالله وبحكم الله وامر الله فهذا قول مرفوض ورأى مبتسر غير مقبول ...

ان ظلمة القلب انما هى ثمرة لانقطاع الصلة بين العبد وربه وتظل هذه الصلة مقطوعة الا أن يرجع ذلك القلب الى الله ويسترسل معه ويستسلم له تعالى فى طاعة تامة فى كل امر ونهى .

فاذا قويت هذه الصلة ، حصل مادق عليه من قبل فهمـه . وأرشده تعالى الى حقيقة العبودية ، واشرق قلبه بمعرفة رسالته فى حياته الدنيا ، وبشره ربه بما لاعين رأت ولا اذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر ...

ان التفلسف ولو أدى الى جزء من الحقيقة ، فان خيـوطه ضعيفة هشه كلما شدت قطعت ، والمتفلسف يريد أن يزن الجبال الشامخة بميزان الذهب أو يزن الجـواهر الفريدة بمـوازين القناطير المقنطرة ، وفى كلا الحالين ينتهى الى الخطأ والفشل ..

لقد رسم الله تعالى الطريق وبين لنا أن الوسيلة الوحيـدة لمعرفة دنيانا وآخرتنا بالتمسك بكتابه الكريم وهدى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا خرجنا عن القرآن الكريم والسـنة المحمدية فاننا نكون بذلك قد رمينا بأنفسنا فى صحراء قاحلة لازرع فيها ولا ماء وظلمنا انفسنا وماربك بظـلام للعبيد ..

القواليبون المحدثون

كثرت دعاوى أصحاب القوالب والرسوم ، وزادت جرأتهم بدعوى الحرية والعقـلانية والعلمانية ، وأصبحـوا مفتونيين بفكرهم الذاتى وارهاصاتهم المبتسرة ، وبدأوا يخـــرجون من جحورهم ليهاجموا كل من يعارضهم فى الرأى ، ويظهر تهافتهم فى الفكر وضعف حججهم وأدلتهم ...

لقـــد طلع علينـا فى هـذا العصر أصحـــاب القـــوالب بسوفسطائية جديدة تحاول أن تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا ، وتتخذ من العقـلانية مركبا تهـاجم به الـدين القيم ، والشريعة السمحاء ، دون أن تدرى أن القـــوالب التى أدخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجـزة عن التعـرف على حقيقـة الدين .

ان العقل وحده لايهدى الى حقيقة الدين ، انما الدين هـاد للعقل واذا لم يرتبط العقل بالايمان ، فانه ينزلق ويقـــع فى المتشابهات رغم انه المحك والمعيار للتمييز بين الصحيح والفاسد من الأمور المحسوسة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق ..

الا أن العقـل لا يستطيع ان يخـــوض فى ساحة المعـرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الايمان ، والا وقع فى الشـطط والضلال ، وذلك لاتباعه الظن والوهم ...

فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له علم به ولا هدى ، يصوغ أفكاره تحت قوالب جامدة ، ويحدد معاييره فى تقنينـات محددة ، يحاول بها أن يفرض قانونا جديدا . وما أنزل الله به من سلطـان ...

لقد حاول الفـلاسفة والمفكـرون أن يضعـوا انفسهم فى قوالب ليثبتوا أو ينفوا حقيقة الدين ، وفى الحـالين أخفقوا احفاقا كبيرا وكلما صاغ أحد الفلاسفة نظرية فى اصل الوجود أو ماهيه المعرفة جاء فيلسـوف آخر فأثبـت عقمها وتهـافت منطقها ، وضعف حججها واسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخـرى لتثبت اصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطنعها لنفسـه ، الا أن نظريته هى الأخرى لاتصمد عن النقد فما يلبث أن يظهر غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة ...

وهكذا يناقض المفكرون بعضهم بعضا ، ويعلن احدهم أنه قد اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وانه وصل الى الحـق وما يتبع الا الظن او ماتهوى نفسه ...

ويروى لنا تاريخ الفكر الانسانى ان المفكرين الذاتيـين برغم استخدامهم عقولهم لم يصل احد منهم الى حقيقة واحـدة فيما يتعلق بأصول الاشياء او بحقـائق الوقـائع او المبـادىء الأولى ، انما محاولات الفلاسفة والمفكرين ، هى مجرد تخمينات وفروض لم تثبت صحتها كما لم يستطع أى منهم عن طريـق

القوالب العقلانيـة التى اصطنعوها كمنهج فكرى أن يصطنـع منهجا مقبولا يواكب الحقائق الكونية ٠٠ انما هى عبارة عن تخمينات، وتخيلات واضغاث احلام لاتستطيع أن تفيد المتعطش الى المعرفة الا عنتا وتعبا ٠٠

ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الى حقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الـدين تركوا انفسهم للهـوى وبدأوا فى الطعن فى حقيقة الدين الذى أنزله الله كهاد للناس ، واعتبروه معطلا لتقدم العقل الانسانى والنشاط العلمى ٠٠ وطعن بعضهم فى السنة المحمدية توطئة للطعن فى اصل الدين ٠٠

وهذا الأسلوب المعـاصر قد خطط له من قبل الماركسيين والملحدين ، حيث فشلوا فشلا ذريعا عن اخراج المؤمن عن ايمانه أو التدليل على امكان دحض حقيقة الدين ٠٠

لقد تركوا الهجوم على الدين لعجزهم عن تقويضه ، لكنهم من ناحية اخرى عمدوا الى وضع قوالب جديدة للممارسـات الحياتية كبدائل للدين ، بدعوى أنها أكثر واقعية وملائمـة للانسان المعاصر ٠٠

وهذه القوالب التى زعمـوا أنهـا تعطى نتائج ايجـابية سريعة ، وتقدما ملموسا فى مناحى الحياة المختلفة ، هذه القوالب انما هى نوع من التفكير الفلسفى المبتسر ، الذى يبحث عن علل

ليس للظفر بها من سبيل كما ان هذه القوالب تدفع الانسان الى الاعتراض على الافعال والأعمال ويدفع البسطاء من الناس الى الاستجابة لقوالبهم بلا وعى ، وذلك لاستخدامهم التعبيرات المنمقة والاساليب التى تثير النعرات وتغذى هوى النفس للانفكاك عن هدى الدين ..

لقد اعتقد القوالبيون أن هذا الاسلوب الجديد الذى صيغ بطريقة مرحلية يمكن ان ينجح فى التأثير على الجماهير ، لكن الحقيقة انه اسلوب عقيم لا يحقق أى تقدم يذكر حيث انه كما سبق القول يعتمد على الظن والوهم ..

ان ربط هذه القوالب بالسلوك العملى الحياتى لايمكن أن يؤدى الى أى تقدم ، بل يحدد السلوك فى اطار ظاهرى وشكلى ، دون اعتبار الى الجانب الباطنى الذى يحكم سلوك الانسان ...

فالانسان ليس مادة قابلة لان توضع فى قوالب لتشكل بحسب ماتريد ، كما أنه ليس منعدم الارادة ليظهر فى صور ومظاهر دعت اليها عقول البشر ...

انما الانسان روح وجسم قد اودع الله فيه كل امكانات التغير ومن حال الى حال والتوبة والعصيان والكفر والايمان ، ولايمكن أن يصب الفكر الانسانى وحياته فى صور واشكال وقوالب جامدة ..

ان فشل هذه التجربة قمين أن يهدى عقول المكسرين الى الحق ، فاذا اغتروا بعد ذلك واستمروا فى كيدهم واتباع اهوائهم فانهم برغم توهمهم بأنهم على طريق الحقيقة الا انهم لن يحققوا نجاحا على الاطلاق ٠٠ على النقيض من ذلك تماما فانهم سيردوا خائبين خاسئين ٠٠

ان استقامة التفكير معناها أن لايعاند الانسان حكمة الله البالغة ولايعارض حججه الدامغة ، ولايفترى على الله كذبا ، ولايعبد الله على حرف واحد ، ولايقبل أمورا ، ويرفض أمورا مدعيا انها لاتحقق العدل أو لاتتفق مع الواقع ، وتوصل الانسان الى التوفيق ٠٠ لأن هذا الادعاء كاذب فى ظاهره وباطنه ٠٠

اذ الحقيقة أن اصدق الحديث حديث الله ، واعظم مايحقق للانسان سعادته فى الدنيا والآخرة هو اتباع منهج الله والعمل بما أمرنا به والنهى عما نهانا عنه ، ومهما عمل الانسان بفكره الذاتى ، ووضع نفسه فى قوالب فكرية مثالية أو مادية فلن يحقق الخير فى وجوده ولن يصل الى التوفيق والسداد ٠٠

ان العقل الذى لم يرتبط بالايمان ، بمثابة من يحرث فى البحر فلايصل الى غايته فضلا عن ضلاله وكذبه ٠٠٠

لاحل اذن للفكر المعاصر الا أن يهتدى بأمر الله وشريعته ، وأن يوقن أن عقله عاجز عن فهم حقيقة الدين ، وأن نجاحه انما يتم عن طريق ارتباط العقل بهدى الدين ولن يتأتى ذلك الا بكلمة التوحيد ٠٠

ينبغى للعقل اذن الا يناطح شريعة الله ، والا يعترض على افعاله تعالى ، ولا يطلب لها علة ، اذ قد ثبت له بالأدلة والحجج الواقعة انه تعالى مالك وقادر وحكيم ، فاذا خفى عن انسان الحكمة فى فعل الله وأمر الله فان على الانسان ان ينسب العجز الى جهله وقصور عقله ، وعدم ادراكه لحكمة الله الظاهرة أو الباطنة ٠

لقد عجز موسى عليه السلام بعقله ان يعرف حكمة خرق السفينة وقتل الغلام ، ولولا ان الله أطلعه على تلك الحكمة فى الفساد الظاهر أمامه ، لاعتصرته الحيرة وتملكته الريبة ووقع فى الشك ٠

ذلك لأن جحود العقل نتاج لعدم معرفة العلل فلو ظهرت العلة ما اعترض على الفعل عقله وما جحده ٠٠

لكن كيف يتأتى للعقل الانسانى ان يتعرف على الحكمة فى الافعال والاعمال وهو عاجز عن معرفة حقيقة نفسه فما باله يعترض على حكمة الله ٠

اذا ترك العقل لتأويله وتفسيره للأحداث والأفعال فانه يجنح عن الحق ويركب موجة الافتراض يقول مثلا: لماذا لم ينج الله تعالى السحرة الذين ، آمنوا بموسى عليه السلام من صلب فرعون ؟ ولماذا لم ينج الله تعالى قتل الانبياء بغير حق مثل نشر زكريا عليه السلام وقتل يحيى عليه السلام بواسطة زانية ؟

ان العاقل لاينسى انه عبد عاجز ضعيف وان الله تعـــالى هو القوى الحكيم ، وأما الجاهل فانه مع اقراره بوجود الخـالق الا انه يتشكك فى وجود الله فيقول لو كان الله موجودا حقـا لنصر أنبيائه واوليائه ، ونسى هذا الجاهل ان الله تعـالى نجى ابراهيم عليه السلام من النار التى ألقى فيها ، ويونس عليـــه السلام من بطن الحوت وفرق البحر لموسى ، نسى الجاهل ان ذلك لايقدر عليه الا الخالق سبحانه وتعالى ٠

فحكمة الله سبحانه وتعالى فى جميع تلك الأفعال خافية على الانسان وعللها لا يعلمها الا هو ، الا اذا اراد الله تعـــالى ان يكشف عن بعضها كما كشف لموسى عليه الســـلام حكمة خرق السفينة وقتل الغـلام ٠

فالانسان العـاقل عليـه ان يسلم بقـدرة الله وحكمة الله الظاهرة والباطنة وألا ينـاطح بعقله قدر الله وقضـــاء الله وفعل الله فى الكون والخلق والحيـــاة ، والا وقع فى الجهـل والشرك والضلال ٠

تهافت مذاهب الأخلاق البشرية

ان كثيرا من الشعوب والأمم ماتزال غارقة حتى آذانهـا فى اوهام مذاهب بشرية وتخمينات ماانزل الله بها من سلطان ٠٠ فهناك مذاهب اخـلاقية حديثة ومعـاصرة تعبد العجـل والنار وتسلك سلوك الجاهل فى غفلة واغترار ، وتجعل من دون اللـه الواحد ٠٠ آلهة صنعتها نفوسهم المريضة،وقلوبهم المتحجرة،فآمنوا بالطاغوت يذيقهم الشك والفزع والرجفة واليأس والقنوط فى الدنيا والحسرة فى الآخـرة ٠

لقـد جسدت الفيـدية الههم وقطعت جسـمه اربا اربا ، ونشرت أشلاءه على العالمين ٠٠ ثم زعمت أن الحياة الخلقيـة السليمة انما تكون فى جمع أشـلاء الاله ٠٠ وتحقيق وحـدته الجسـدية !! ٠

أما البراهماتية فجعلت السلوك الأخلاقى القويم مستحيلا ، وقصرت السعادة على طبقة الكهنة ، وسدت جميع المنـافذ ـ بما وضعته من طقوس غامضة وشعائر معقدة ـ أمام الناس لتتركهم فى ظلمة الجهل وحياة الخوف والشك ٠٠

وثار السوفسطائيون على الكهنة فى كل العصور ، فتحللوا من الأخلاق ، وتحرروا من الطقوس الدينية ، ونادوا بعبـادة القوة واللذة والمنفعة الشخصية ٠

وجاءت اليوجية لتعبد الفناء ، وذلك بسحق العقل ، وفقد

الحواس ، وتوهمت أنها بذلك تحقق السعادة لمعتقديها ·

وأعلنت البوذية أن الحياة كلها الم ، وأن العمل جهد مضنى ، ومجهود شاق ·

وافترضت حلا لمشكلة الألم التى اخترعنها ، وذلك بحل مشاكل الكون ·· حتى يتمكن السالك من النجاة ·· وبذلك تحقق له السعادة !!

والزارادشتية عقيدة تلفيقية جمعت كل الأديان السابقة عليها ، ثم أضافت اليها عدم قتل الحشرات حتى ولو كانت ضارة، وزعمت أن من قتل أى نفس ولو كانت لحشرة ضارة ، فظلم عظيم ·· اذ يوقف خلود النفس الذى تؤمن به ··

أما الكونفوشيوسية فتؤمن بالقانون الطبيعى ، وتزعم أنه وهما متساويان فى كل شىء يستمران الى الأبد !!

ثم تأتى المزدكية لتعلن الفجر والعهر مذهبا لها ، وتطالب الناس بشيوعية الجنس والمال بزعم أن ذلك السلوك يحقق السعادة المنشودة ·

أما الكونفوشيوسية فتؤمن بالقانون الطبيعى ، وتزعم أنه يحقق الخير فى الوجود ·· ولذلك يجب أن يكون السلوك موافقا للطبيعة التى هى على خير نظام ·· ولكن أى طبيعة يقصد اليها كونفوشيوس هل هى الطبيعة الحيوانية ؟ أم الطبيعة الكونية ·· !!

وأما الفراعنة فقد عبدوا ملوكهم ، وقدسـوا موتاهم ، وقدموا القرابين لأسلافهم خوفا وطمعا ٠٠ وسخروا حياتهم فى رشوة الكهنة ليدخلوا الجنة من الابواب الخلفية ٠٠٠!!

وظلم أفلاطون بمثالياته ومثله الناس والأخلاق ، وقسم الناس شيعا وأحزابا ، وجعل منهم السعيد حقا والتعيس حقا ٠٠ فأعطى مفاتيح السعادة الأبدية للفلاسفة ، وسحبها عن العامة من الناس وأسماهم بالرعاع ٠٠ وهبط بهم الى المستوى الحيوانى ٠

وأتى أرسطو ليرسم للانسانية الطريق الى السعادة ، وشرع للناس السلوك الخلقى الواجب الاتباع ٠٠ وأبطل بذلك الأديان السماوية !!

ولم يتجاوز الفكر الأخلاقى الحديث النظريات القديمة ، حتى أنه يمكن القول أن ماهو حديث من هذه المذاهب الأخلاقية يمكن أن يكون قديما ، وان القديم من المذاهب الأخلاقية يمكن أن يكون حديثا ، فالفكر الانسانى فى عملية اجترار دائم للسلوك والتطبيق ٠٠

لقد استعار ديكارت منهج الامام الغزالى وحاول تطبيقه للوصول الى نظرية أخلاقية مسيحية ٠٠ وانتهى الى طريق مسدود ذلك لأنه توقف عند حدود العقل ، وجعل قمته فى البصيرة ٠٠ وهى الاعتماد على التأمل الصرف دون بذل العمل من أجل تنفيذ شعائر الله وبذلك أخفق حيث ظن المتفلسفون أنه نجح نجاحا مبينا ٠٠٠

وأدخلنا « كانط » فى متاهات الواجب والارادة الحـــرة ، وغرق فى بحر لجى من العقد والتصورات الغامضة ·· وربــط بين الخير والحرية الفــردية ربطا عســفيا ، وأوقع نفســه فى تناقضات كثيرة عندما جعل الانسان ملتزما بالواجب وحــرا فى نفس الوقت ·· وبذلك جعل الحياة الأخلاقية سلوكا غامضــا لارحمة فيه ولا هــدى ··

وجاء بطلر ليعلن للناس أنه قد اكتشف الطريق الموصـــل للسعادة ، وبين أن ذلك انما يتم بأتباع وحى الضمير ·· ونسى أن القتل والسرقة تتم أحيانا بوحى الضمير ·· وظلم النـــاس بعضهم لبعض يتم أيضا بعد استشارة لضمائرهم ···

ويزعم « بنثام » أن اللذة هدف الانسان رغايته من السلوك الأخلاقى ، ويدعو الى تحقيق آكبر لــذة ممكنة ليتحقق للبشر سعادتهم ·

والوجودية الحـــديثة بمدارسها المختلفة تعبــد الحريــة الانسانية ، وتهدف الى اطلاق العنان لشهواته وأهوائه وغرائزه لتشيع فى الأرض فســـادا وافسادا ·· وتقــول مثل مقـــالة السوفسطائيين من مئات السنين ولكن بصياغة جديدة : أنا الذى أموت لا غيرى ، فلم لا أختار حياتى كما أحب وأرغب ·· دون أن يفرض على قانون أو دين أو تقاليد ··

ولقد أشاعت الماركسية فوضى أخلاقية ، وقلبت كل القيم رأسا على عقب ، وأفسدت الحياة النفسية السوية لملايين البشر

عندما زعمت أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الايمان بالله تمثيلية وضعها البشر من عند أنفسهم وأعلنوا فى تبجح : لا اله ... والكون مادة .

ولقد حرف بعض كهنة المسيحية كتب الله ، وفسروا كلماته بما يتمشى مع أهوائهم وقدموا للناس دينا جديدا صاغوه بأقلامهم ، ودسوا فيه ماهو أسطورى وخرافى وخيالى .. فكفر الناس بدينهم، وتمرد المسيحيون الأوربيون على انجيلهم المحرف .. ومضوا اليوم بلا دين ولا أخلاق ولا قيم عليا .. الا ما وافقت عليه عقولهم .. وماتهواه نفوسهم .. فانتشرت بذلك الاباحة والفسق ، وأصبح الانحلال الأخلاقى السمة المميزة لهذا العصر الخرب ..

فهل لنا بعد ذلك كله أن نزعم قدرة الانسان وحده على معرفة السلوك السليم لمكارم الأخلاق .. ودون الاستعانة بطريق الحق تعالى .. هل يمكن أن يشرع الانسان لنفسه نظرية أخلاقية تصلح فى السلوك والتطبيق وتحقق له خيره وسعادته .. بالتأكيد لا فقد أجملنا أكثر المذاهب والنظريات الأخلاقية فى هذه العجالة .. وظهر عقمها وتهافتها وفسادها .. فالى اين يجب أن نتوجه اذن ؟ ...

لم يبق أمامنا الا الاسلام دين التوحيد وعقيدة الحق وشريعة الله الخاتمة لتكون لنا المعين والمرشد والسراج المنير فى ظلمات الليل الدامسة .. نطبق قرآنه ، ونعمل بمنهجه ونسلك طريقه ، ونتخلق بخلقه .. فهو أملنا فى النجاة فى هذا العصر الخرب ..

الباحثـــون فى السراب

الكثير من الناس يذهبون فى طموحاتهم الدنيوية بعيدا
حتى انهم يفقدون الأرض التى يقفون عليها فيطيرون بأجنحة
فى الفضاء حتى اذا ما أنهكهم التعب لم يجدوا العش الهادىء
الذى يسكنون اليه ٠٠ هؤلاء هم الباحثون فى السراب ٠

تغوص الى الأعمــاق ، أو تطير فوق الســحاب ، أو تركب
سفينة الفضاء ، لتطل عن كثب الى الكواكب السيارة ٠٠ وتدور
هنا وتجرى هناك تحسب أنك تستطيع أن تكون أكثر مما انت
فيه واكبر مما أنت عليه ٠٠

لكنك أيها الانسان تضرب برأسك حائط الحياة الصلد ٠٠
فلا تقدر ان تتعدى الحدود أو تجـاوز وجودك المحـدود ٠٠٠
ومهما تخيلت من اشـباح أو توهمـت من خيـالات فأنت انت
ولن يزيدك ذلك الا عنتا وارهاقا ٠٠

ومهما فتشت فى القراطيس القديمة وأمعنت النظـر فى
حسابات الكواكب والافـلاك ، وجربت المجربات عن فوائـد
مزعومة لمعرفة الطالع والأخبار عن الحظوظ والبخوت ٠٠ مهما
فتشت ونقبت ولجأت والتجأت الى البشر ومجرياتهم ، فلن ترجع
ياصاحبى الا بخفى حنـين قد أسـهدك الأرق وأتعبك البحث
وأعيتك الحيل دون ان تصـل الى ماتصبو اليه او ان يتحقـق
مرادك ٠٠

فقواك ايها الانسان محدودة وامكانياتك بسيطة وادواتك المستخدمة قاصرة وقدراتك ضعيفــة متهافتة ٠٠ وتشــعر فى النهاية انك صغير صغير جدا ٠٠

سترى نفسك ان أردت التمرد مكبــل بأغلال من حــديد ، وان ظننـت انك تستطيــع أن تمزق الأغــلال أو تفض حجـب الاسرار ، فأنت معتوه أو مجنــون ٠٠ فليس هنــاك أصعب على النفس من أن تكتشف أنها لاشىء وأن ماخيل اليها من مزاعـم هى اضغاث احـــلام ٠٠٠

واذا كان التحدى جبلة فى التركيب الانسانى ، فانــه من الضرورى أن نعلم أن التحدى غالبا مايقــود الى النكسة بعــد النكسة ثم اخيرا الى التسليم اجبارا او اختيـــارا ٠٠ طوعا او كراهية ٠٠

ومايزال الانسان يولد كل يوم فى صور واشكال ونماذج تحاكى سابقتها فى الاعتراض والتحدى وتنتهى نفس النهــاية بلا تقــدم فى المعارف والاسرار ٠٠ ثم أن تلك المواليد الجديدة لا تتعلم من التجارب والافكار ٠٠

استخدم الانســان السحر عله يبلــغ المنى ، ويهتــك ستر الحجاب ، ويفض الاسرار ، ويعـــرف من امر عالمه والعــوالم الأخرى اكبر مقدار ٠٠ وضيع من عمره قرون طويلة فى هــذا السبيل دون أن يتقدم خطوة واحدة فى الوصول الى حقـــائق

الحياة وعندما فشل حرق قراطيس الاسحار ، ومضى يبحث عن شيء جديد مستخدما التجارب والافكار ٠٠

وحاول في أواخر القرن الماضي أن يستكشف الجديد عن عالمه والعوالم الأخرى واستخدم وسائط لهم مميزات معينة وانهالت عليه معلومات ناقصة ومشوهة على مائدة الحس والوجدان ٠ حسبها أول الأمر فتحا جديدا فى علم الاسرار ٠ ٠ لكنه مالبث أن تقوقع عندما اكتشف ان مايتعرف عليه من معلومات جديدة عن العوالم الاخرى تزيد الامر تعقيدا وغموضا وتضعه فى متاهة الجهل وتضر بأعصابه وتوقعه فريسة للامراض ٠٠ وقد انتهى بعض المسرفين فى الاهتمام بالعالم اللطيف او كما يسمونه العالم الاثيرى الى الانتحار فى ظروف غامضة وبعضهم وجد مقتولا بطرق مروعة وباسباب خفية لم يكشف النقاب عنها ٠

لقد زعم هؤلاء ان مايتصلون به هو عالم الروح وعالم الروح من زعمهم براء وانما الذى يحاولون الاتصال به هو عالم الجن وليس هؤلاء أول من حاول ولا آخر من سيحاول فقد ورد ذلك فى قول عزل مز من قائل :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقـــا »

(الجن : ٦)

لكن قضية الذين يحاولون الاتصال بعالم الجن ، لاتقف

عند حد الزعم بأنه عالم الروح بل تتعدى ذلك الى تصور الاستفادة من الأرواح وتسخيرها لخدمة البشر ، والعجيب انهم يستخدمون طرقا ووسائل مادية كالاجهزة والات التصوير التى تصور تحت الاشعة الحمراء وقد نسى هؤلاء ان ماهو غير مادى لايمكن الكشف عنه ماديا ٠٠ لكن ماذا نقول فى عمى الإبصار والقلوب والعقول !!

ومايزال الانسان يستخدم المجداف المكسور والبحر عال والموج متلاطم ، والسماء ملبدة بالغيوم ، وقاربه مثقوب فهل يكتب له النجاة !! ان ذلك يحتاج الى التلطف الالهى مع ذلك العاصى والرحمات الربانية مع ذلك اللاهى فى بحر الظلمات ٠

ويأتى بعد ذلك أصحاب الالحاد الظاهر الذين يعلنون فى تبجح أن الههم الذى يؤمنون به هو العقل ولا يعترفون الا بالملموس والمحسوس وماله طول وعرض وعمق ، اما خلاف ذلك فلابد أن يجرب معمليا أو يثبت تجريبيا ، وماتبرهن التجربة على صدقه فهو صادق ، وماتبرهن على كذبه فهو كاذب ، وليس هناك فى الوجود شيء فوق العقل البشرى واداة العقل التجربة او اليقين العلمى لذلك فالعقل يصدق دائما ٠٠٠

لكن العقل الانسانى رغم ماأودعه الله فيه من قدرات ومواهب وقوى على أن يميز بين الصدق والكذب . غير مؤهل لادراك حقائق الوقائع ، فاذا كان يستطيع ادراك المصباح الكهربى بايصال الدائرة الكهربية السالبة بالموجبة ، فانه

لايستطيع مع ذلك معرفة حقيقة الكهرباء ، فهو يدرك وقائع الاضاءة الكهربائية ، لكنه لايدرك كنه الكهرباء ·· فاذا كان الامر كذلك بالنسبة للكهرباء وغيرها من الامور المشاهدة فما بالك بالروح ·· هل تنكر لأن انسان العصر لايستطيع ادراكها تجريبيا ·· ولماذا لاتنكر الكهرباء رغم انه لايعرف كنهها تجريبيا ··

الجسم يتحرك ويأكل ويفكر ويتكلم فاذا انتقل الانسان توقف كل شيء ·· فهل كان الانسان مشحونا بطاقة كما يزعم بعض التجريبين وعندما فسدت البطاريات انتقل الانسان ··· هل تحرك ضمير الانسان وطار به ·· هل يحب الانسان ويكره ويغضب ويبكى ويفرح هل يؤمن ويكفر ويصدق ويكذب بشحنة كهربائية كما يزعم هؤلاء ··

لو أقر التجريبيون وجود الروح واستسلموا لعجزهم عن معرفة كنهها لكان خيرا لهم ·· اما الادعاء المفرط فى الضلال باستبعاد وجود الروح فى الانسان خوفا من الاقرار بوجود خالق الروح وهو الله تعالى ·· فهو قصور فى التفكير وضعف فى نورانية القلب وعمى فى الابصار ··

ومهما بلغ الملحدون من نجاحهم المادى فانهم يتأخرون وينحطون ماداموا لايقرنون هذا النجاح بالايمان ذلك ان

الايمان بالله هو السبيل الوحيد لهداية العقل ومادام العقـــل لم يهتد الى فاطره فكيف له أن يزعم النجاح والتوفيق والسداد ٠

أما الباحثون فى السراب فلن يحصدوا الا الشك والريبة والخسران ، فلا السحر يوصل الانسان للحقيقـة او حتى جزءا منها ، ولا الجن ممكن ان يفيد الانسان او يقربه من الحقـائق الكبرى ولا التجارب والوسـائل العلمية والمعملية تقـود الى معرفة فاطر السموات والارض ٠٠

الذى يمكن وحده ان يحل مشكلة الانسان فى هذا العصر ، وفى كل عصر هو ان يدخل حظيرة الايمان وبلا ايمان فلا نجاح ولا أمان ، والا يبقى الانسان يبحث فى السراب وساء ذلـك من سـبيل ٠

الاعتراض على الفطرة ظنون واوهام

ترفض العقيدة الاسلامية كل اشكال العسف والارهاق والعنت ، فحقائق الدين واضحة للعيان ، ميسرة لكل انسان ، مقبولة للعقل والجنان ، تواكب الفطر السليمة وتعالج ادواء النفس واسقامها بلا حاجة الى طلب الطبيب المعالج متى التجأت النفس الى الله ...

وقواعد الدين لاتنطوى على طقوس معقدة وممارسات صعبة ومصطلحات غامضة كما نجد ذلك واضحا فى كثير من العقائد الأخرى ، انما قواعد الدين الاسلامى تخاطب الناس جميعا كبيرهم وصغيرهم ابيضهم واسودهم فقيرهم وغنيهم أميهم وعالمهم ...

وليس الايمان بالله ثمرة لكثرة التحصيل العلمى انما المهم الاخلاص فى العمل لله ، فكم من متكلم فى التوحيد غشى قلبه حجاب الدنيا واصبح جل همه الجدل والمناظرة لدحض حجج الخصوم والتفوق على غيره فى المجادلة دون ان تكون غايته الدفاع عن الدين وانما الدفاع عن هواه وعمن اغواه ..

ورب مؤمن صادق العمل قليل العلم ، خالص العزم والنية يهتدى الى حقيقة العبودية ويتعرف على مقام الربوبية ، فيأتيه رزقه من حيث لايدرى ولايحتسب وينعم عليه بالقول الثابت والأمن والسكينة التى يفتقر اليها المتكلم الاديب والمتفقه اللبيب ..

ان اسباب الجنوح عن حقيقة الدين ، تتـــركز فى وجود تناقضات وتضادات وتداخـلات بين مطـالب النفس وحقيقـة العبودية ، فتتراكم على النفس الأمانى الدنيوية ، ويغلو الانسان متوهما آنه ظفر بحقائق يقينية ، وانه وصـل بعقله الى منتهى غاية الواصلين ٠٠ وعندها يغفل عن ذكر ربه ويتغافل عن اداء التكاليف المقررة والفرائض الشرعية ٠٠ ويطلب لنفسه المقام الاسمى غروراً واغتراراً ، وينسى الواجبات المنـوطة به ٠٠٠ فيقع فى التخبط ويسقط فى الهوى ويتملكه الكرب الشـــديد ويحاط به الفزع من كل جانب ويداهمه الغم والهم حتى تصبح حياته قنوطا ويأساً ٠٠

ان الاعتراض على حكمة الله البالغة وحججه الدامغـة هى من الظنون والاوهام التى تبعد الانسان مهما انكب على الدرس والتحصيل عن الايمـان ٠٠ كما أن دعـاوى المتفقهين الـذين يحرمون حلالا ويجمدون كل راى فيه منفعـــــــــة للمسلمين بدعوى انه لم يكن مأخوذا به عند الائمة السابقين برغم ان هذا الرأى لايتعارض مع اصل من اصول الدين ٠٠٠

هؤلاء المتجمدون لايسعدهم أن يروا غيرهم من العلمـــاء المجتهدين يطبقون تعاليم الدين فى بساطة ويسر ، ويروا فى كل أمر لايعرفونه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ٠٠ فيقفون بالمرصاد لكل داعية اسلامى مخلص يدفعونه الى السكوت والا انقضـوا عليه بأظفـارهم ينهشون لحمـــه ويلوكونهـا بأنيـــابهم ٠٠٠

ان هؤلاء يعطلون تطبيقات الشريعة السمحاء ويعـاونون الشباب الغر على الانفكـاك من حولهـا ٠٠ ويعقـدون اليسير ويصعبون السـهل حتى تخلو السـاحة الا منهم ٠٠ وهذا هـو الظلم الشـديد ٠٠

واذا ماحاولت أن تتعرف منهم عن حقيقة الدين ، سخروا منك ، لأنك لست في مستواهم في الجدال والمناظرة . وأدخلوك الى دهاليز معتمة لاتستطيع أن تخرج منها سالما ، فهم يغمضون الحقائق ويتقولون بارهاصات لاتمت الى الايمان بشيء ٠٠٠

والمجتمعات الاسلامية قد منيت بهذه الفئات التى لاهم لها الا الجلوس على ابواب المؤسسات الثقافية لتغلق ابوابها أمـام كل عالم وطالب علم لتحرم الناس من التفقه في امــور دينهم ومعرفة الحلال والحرام في شرعتهم السمحاء ٠٠٠

ولقد يطالب اصحاب البصائر النافذة بتطبيق احكام الشرع الحنيف ، اذ أنه قد آن للأمة أن تفيق من كبوتها وأن تتقدم بخطى وئيدة نحو التقدم والازدهار تحت رآية الشرع الحنيف ٠٠

لكن المستغربين وقد جهلوا باحكام الدين ، وفضلوا قـواعد المنهج العلمـانى الميسرة التطبيق والتى تدارسوهـا وتفهمـوا خصائصها واصولها ٠٠٠ يرفضون هذه الدعوة عن وعى او غير وعى ، ويظنون لجهلهم بالدين ان هذه الدعوة انما رجـوع الى البداوة وعدم مسايرة للتقدم الحضـارى الحـديث ٠٠ ونسوا

أن التمسك بالتشريع الاسلامى طيلة قرون عديدة هو الذى كان سببا مباشرا للتقدم الحضارى فى عصور الازهار الاسلامية ٠٠ وأن أوربا مدينة الى الآن بحضاراتها للعرب الفاتحين الذين قدموا لها مفاتيح الحضارة ومآدب التقدم التى تأكل منها حتى الآن ٠٠

ونحن لانصور أن يتحقق للمسلمين التقدم والازدهار وقد اعتلى كراسي مؤسساتهم الثقافية والعلمية جاهل بحقيقة دينه ومدع انه الحيد العارف بحقائقه ٠٠ ومن هنا فانه من الصعوبة بمكان أن تخطو الامة الاسلامية خطوات عظيمة فى طريق المنعة والتقدم إلا اذا مهدنا السبيل امام المخلصين من علمائها ليدلوا كل بدلو بحسب علمه ومعرفته دون ان يكون هناك من عوائق تمنع اظهار الحق وازهاق الباطل وبذلك تفيق الامة وتهدى سواء السبيل ٠٠٠

أرض الحقيقــة

الحلم والوهم فى هذه الدنيـــا فحسب ، أما فى أرض
الحقيقة فان الحقـائق وحدهـا تتكلم وهناك يجـد
المؤمن ما وعد الله فى النعيم المقيم ..

كلما تكالب الانسان على الحيــاة ، يحجبه دخـــان كثيف فلا يرى شيئا من الحقــائق ولايكتشف طريقه ،ويعتقـد مع الحجب والكثافة أن عالمــه الحقيقى هو الذى يحسه ويتــذوقه ويشمه ويراه بعينى راســه .. فهو يسـعى جاهدا لاشـباع متطلباته ، وارضاء نهم غرائزه ، ولايفكر ابدا أبعد من أنفه فيظل محبوسا فى ظلمات جهالته ولو أنه يظن أن مطلبه هـــو عين الحقيقة وما يستهدفه من لـذاذات هو الجدير اهتمــامه فحسب .. وأما خلاف ذلك فهو مجرد أوهام وخيالات أباطيل .

ويضرب الجاهل الأمثلة الحسية ، والامثال الشعب التى تكذب كثيرا وتصدق قليـلا فيقول مثـلا « أطعم الفـم تستحى العين » « ومن ليس معه قرش لايساوى قرشـا » « والانس لن يعيش الا مرة واحدة » « والفلوس تربى النفوس » ، وغير ك من الامثال الشعبية التى تضر بالانسان اكثر مما تفيده حيا وعمليا وواقعيــا ...

وهذه الافكار السطحيـة غالبا ماتتحـول الى سـلوك لدى الجاهلين بحقيقة رسالاتهم فى هذه الدنيا الأمر الذى يدفعهـم الى تحقيقها بشتى الوسائل وبجميع الطرق ، فاذا ماصــــادفوا

عوائق وموانع وسدود تحـــول دون تنفيذ أغراضهـم وتطبيق افكارهم حاولوا الالتجاء الى اساليب غير شرعيـة أو حيل غـير اخلاقية لتحقيق مآربهم ·· فاذا فشلوا فى ذلك ايضا تملكهـم اليأس والقنوط ·· وحاصرتهم الامراض فيفقدوا الصحـــة والتفكير السليم جميعـا ، ويعيشون فى الهـم والغم والكـرب العظيم حتى يسرع اليهم العطب والتلف ويعجل بهم الموت وقـد ضيعوا عمرهم سدى ولم يكتشفوا فى الوقت المناسب الهدف من الحياة ورسالتهم فى هذه الدنيـا ···

والعمر قصير ، والرحلة الدنيوية حلم يمر سريعا وكأنهـا نقطة غير مرئية فى عمر الزمن ، ولو تفكر الانسان بعمـق لعلم أن حياته التى يعيشها لاتعد شيئا بالنسبة لحياته الباقية ، وأنها حلم بالمقارنة لمابعد الموت ·· ·

لكن الغفلـة والنسيان من جبـلات بنى آدم فهـو يعـرف الحقيقة ، ويشاهد كل يوم من فضل دنيـــاه على آخرته ثم أتاه الموت بغتة فترك كل شىء ورحل ··

وكأن موت اقربـائنا واحبائنا وارحـامنا ليس مما يعقله الإنسان ، وبرغم ان حياتهم كانت واقعا محســوسا ومشاهدا ، الا اننا ننسى ونتغافل ذلك تمـاما ، بل ونفعل مايبعـدنا عن الحقيقة وما يقربنا من الوهم ، وكأننا لانتعلم من الآخــرين الدرس الهام فى الحياة وهى أن الدنيا مزرعة الأخـرة ، واننا عابرون جسرا الى الشاطىء الآخر ···

ينسى الانسان ويغفل عن الحقيقة وكأنه فى يقظته ومنامه فى حلم دائم لا يستيقظ منه أبدا ... ويمضى وكأن كل شيء فى دنياه هى احلام اليقظة واحلام المنام ...

لكن لو تفحص الانسان حياته ، ودقق فى اسباب وجـوده ، وتفكر فى الهدف الذى يقوده الى النعيم حقـا ، لغير برامجـه ، وبدل من نفسـه ، وسلك سلوك الأخيـار ، وابتعد عن تفكـير الاشرار ..

لو تأمل الانسان فى الحيـاة والموت ، والدنيـا والآخرة ، لاستطاع أن يتعلم الكثير وأن يتصرف تصرف العقلاء فلا يطغى ولا يتكبر ولا يغتر ولا يعجـب بنفسه ولا يطمع ولا يحسـد ولا يحقد ... وبذلك يصبح انسانا طيبا صادقا تقيا نقيـا ورعـا ...

لكن الدخان يحجبه عن معرفة حقيقة نفسه وحقيقة مصيره ، وهذا الحجاب يعطله عن ممارسة الحياة الفاضلة ، ويبعـده عن اكتشاف عيوبه وآفاته ونقائصه ...

لو علم الانسان أن دنياه كلها حلم زائـل ، فاذا ما حضره الموت استيقظ ليعيش حياة جديدة ليست محدودة وانما خالدة سواء فى النعيم المقيم او الشقاء المقيم ..

لو عرف الانسان ذلك تمـاما ، ماظلم أحدا من العبـاد ، ولا اشرك بالله الواحد القهـار ، ولأعتقد فى الاسـلام دينـا

وبمحمد نبيا ورسولا ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأدى حقوق الله كاملة غير منقوصة ...

والمعرفة هنا تكون فكرا وسلوكا وحياة عملية وليست كلمات واقوال يتمتم بها للاستهلاك المحلى دون أن يعمل بها فى حياته ، فالمعرفة بالله دليل على الصدق والاخلاص والعمل الصالح ، وأما الالفاظ والاقوال فانها ربما تصدر عن المنافق والمرائى كمظهر وشكل دون ان يكون لها معنى او مضمون لذلك فان الله تعالى يبغض المنافقين .. ويكره الذين يخادعون الله وهم فى الواقع يخادعون انفسهم ..

لابد لصاحب المعرفة اذن من التيقن أن حياته الدنيوية حلم لايلبث أن ينتهى ، وانه فى رحلة قصيرة وشيكة الانتهاء ، فيعد نفسه اعدادا طيبا للرحلة الباقية على أرض الحقيقة ... وهى الحياة الخالدة الدائمة ...

ومثل صاحب المعرفة فى دار الدنيا ، كمثل المسافر فانه يعد عدته وعتاده من اجل الوصول الى المدينة التى سيقيم فيها اقامة دائمة ، فلو لم يهتم بزاده وعدته وعتاده وبدأ فى رحلته الطويلة بدون اعداد فكيف يستطيع أن يصبر على قلة الزاد وهل يستطيع أن يصل الى هدفه بدون عدة وعتاد ؟! .. انه سيهلك حتما فى صحراء الحياة ويظلم نفسه وربما ينتهى به الامر الى الهلاك المبين ..

ان المسافر الى ارض الحقيقة عليه أن يتزود بالزاد والعدة

والعتاد ، ولن يصل اليها الا بالتزود بالتقوى ، وقد أصبح عدته الايمان وعتاده الاحسان ... فاذا فقد التقوى والايمان والاحسان فقد كل شيء فكيف يستطيع ان يقيم فى ارض الحقيقة ؟ ..

فالدنيا شبح لأرض الحقيقة ، ومايراه فيها ليس الحقيقة وانما على مثالها فالفواكه والملبوسات والمشروبات واللذاذات كلها صور دانية محسوسة وليست حقائق رفيعة معقولة مما يوجد بارض الحقيقة ...

لو صبر الانسان على شهوات الدنيا ولذاتها الفانية ، لأعطى فى ارض الحقيقة ثمرات عظيمة كمكافأة له على صبره وتزهده فى الشهوات الدنيوية .. ولو قنع الانسان من الدنيا بما يرزقه الله فيها من حلال لكان ذلك أفضل له اذ يحسن الله عليه فى ارض الحقيقة بما لا عين رآت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

لو صدق الانسان مع ربه وتوكل عليه وفوض الامر اليه لكان ذلك خيرا له ، فان الله يرزقه من حيث لايدرى ولايحتسب بما يسعده فى الدنيا والاخرة ..

لكن كثيرا من الناس نظرا للغواية الشيطانية والكثافة النفسية ، وحجب الدخان التى لايعمل على ازالتها من حوله ليرى الرؤيا الصحيحة تعمل جميعا على ابعاده عن حقيقة ارض الحقيقة ... فيرى الدنيا بديلا عنها ويظن أن ما يلتذ

به فى الدنيا من شهوات زائفة هى حقيقة ، ومايتذوقه من نعم حسية هى منتهى غاية الواصلين ... فيفقد بذلك الأرض الصلدة التى يمكن أن يمشى عليها فيغوص فى الطين دون أن يمشى فى طريق الحقيقة ليصل الى أرض الحقيقة ..

فالانسان يختلط عليه الامر اذا اراد أن يستخدم الادراك الحسى للوصول الى سعادته ، كما انه يفقد ايضا الطريق المستقيم اذا حاول ان يجعل التفكير العقلى وسيلة للوصول الى ارض الحقيقة ...

ذلك أن العقل ، رغم انه موهبة عظيمة أودعها الله فى الانسان ودرة فريدة حياه الله بها ، الا أن الانسان مع وجود هذا العقل يضل كثيرا ويقع فى المتشابهات ويقع فى التخليط ويضيع منه معالم الطريق الى ارض الحقيقة ..

فالعقل لايهدى الى ارض الحقيقة مالم يكن مقترنا به الايمان فاذا تشابه على العقل الامر هداه نور الايمان ، واذا استغلق على العقل أمر من الامور استسلم لهدى الدين وهو نور الايمان ، فالدين هاد للعقل وليس العقل هديا للدين ، فلو كان العقل كذلك لوصل المتفلسفة واصحاب العقول الى معرفة الله ومن ثم نعموا فى ارض الحقيقة بالسعادة التامة ...

فالذين اعتقدوا أن حواسهم ستوصلهم الى السعادة فقدوا السعادة والأمن والطمأنينة ، والذين اصروا على أن عقولهم ستهديهم الى معرفة الحق ظلموا أنفسهم ووقعوا فى الشك

والتدليس والاعتراض ثم يأسوا فسقطوا فى براثن الشـــرك والضلال ٠٠٠

ان أرض الحقيقة تفتح ذراعيها لمن يؤمن بالله فحسـب ، أما القانطون من رحمة الله فقد حجبـــوا عن ارض الحقيقـة وتمرغوا فى اوحال الوهم والخيـال واصبحت دنياهم قفـــرا فلايعـــرفون الى أين يجب أن يسيروا وبذلـــك فقدوا المعـين والهادى ٠٠٠

واذا ظل الانسان فى غفلته دون أن يرجع عن غيه ويتعرف على مولاه ويوقن انه هو القوى وانه الضعيف ، واذ لم يعرف ان الله هو المستغن واذ هو العبد المحتاج لعطفه ورحمته ٠٠

اذا لم يعرف ذلك الانسان ، واذ أصر على عناده وكفـــره فكيف يطمع فى عطف الله ورحمته ٠٠٠ وكيف يطالب اذ توفاه الموت بالمغفرة وأن يسكن ارض الحقيقة ٠٠٠

فهنيئا بالصادقين والصابرين والخاشعين لله الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وعبروا خير الدنيا دون أن تكون جل همهم ، ومشوا الى ارض الحقيقة واثقين من نعم الله ومنن الله ورحمـة الله وانه الى النعيم ذاهبون وفى الجنـــة مقيمون وبقـــرب الله جالسون راضون مرضيون ٠٠٠

هل هناك افتقار الى الفلاسـفة

يصرح بعض المفكرين هذه الأيام بأن هناك افتقـــار الى الفلاسفة فى عالمنا العربى والاسلامى المعاصر .. ويبينون لنا أن اسباب ذلك الجمود فى التفلسف راجع الى ضحالة الثقـــافة وعدم وجود الأصالة الفكرية .

والحق أن هناك اسبابا أخرى لم يذكرها هؤلاء المفكرون رغم وجاهتها وقربها من واقعنا الحيـــاتى ...

ومن تلكم الاسباب وجود المجتمعـــات العربية فى فـــرقة اجتماعية وسياسية واقتصـــادية .. وهـذا بدوره يؤثر فى انتقال الفكر من مجتمع عربى الى مجتمع آخر ومن ثم من مجتمع اسلامى الى مجتمع اسـلامى ... فخطوط الاتصـــال مازالت مقطوعة وان وجدت بين مجتمعين عربين او اكثر فان ذلك يتـم الى حين ولايستمر كثيرا ..

والفكر يحتاج الى وسط مناسب ينتقل فيه فاذا انعدم هذا الوسط كان الانتقال مستحيلا بين المجتمعات الاسلامية بعضهـا وبعض ...

وفى الفكر الغربى الحديث نجد أن النظـريات الجديدة تنتقل رغم وجود عائق اللغة بين المجتمعات الأوربية والأمريكية بسرعة مذهلة وما أن تظهر نظرية جديدة فى احدى البلـــدان الاوربية حتى نجد صداها فى امريكا فضلا عن الدول الغربية

الأخرى ٠٠ وتنتشر النظريات الجديدة وتبسط بطريقة يمكن لعامة الناس أن يتفهموها ويتناقلوها بينهم دون أدنى صعوبة ٠

ولاشك ان هذه النظريات تمثل تيارات جديدة كردود فعل للأفكار التى لايقبلها او التى يرفضها الكثيرين ٠٠ فهى بمثابة تعبير عن وجهة نظر جديدة يصقلها بالحجج والاسانيد المفكر لتعبر عن مضامين ومطالب الحياة فى فترة من فترات العصر ٠٠

ويمكن ان نمثل لذلك بالبراجماسية الامريكية والبنثاميته الانجليزية والتيار الوجودى الفرنسى وفلسفة القوة الالمانية وغيرها كثير فى الفلسفات المعاصرة

فموقف الفلاسفة الغربيين فى نظرتهم وارائهم الجديدة يعبر عن هضم لثقافة العصر ثم تقييم لهذه الثقافة من وجهة نظر ذاتية بعضها نظرة اعتراض او شك ٠٠ ثم موقف اعتراض أو شك فى الواقع أو السلوك أو الحياة يتبلور فى هضم للثقافات الحديثة أو المعاصرة ثم محاولة لاقامة نظرية جديدة تخالف أو تناقض النظريات السائدة أو القديمة ٠٠

هو تغيير اذن نتيجة للشعور بالملل من القديم ومحاولة لاظهار عقمه وتهافته ثم بناء جديد كمحاولة لاثبات صدقه وواقعيته ٠٠

لكن هذه النظريات ماتلبث أن تتهاوى إذ ما يمضى وقت حتى تأتى نظرية جديدة تناقض النظرية القديمة وتثبت ضعفها

وتبرهن على كذبها أو بعدها عن الواقع المشاهد أو الملموس ..

وهذه التيارات الفكرية تزداد احيانا وتقل احيانا بحسب وجود متناقضات تخلق مشارب ونظريات جديدة للحياة ..

واذا ما تعمق الانسان فى هذه الفلسفات نجدها تحمـــل جذورا قديمة ، الا انها تنبت اشجارا وأوراقا جديدة ..فالعقل الانسانى لا يستطيع أن يفرغ فكرا من العدم ولايأتى بالمعجزات وان كان يستحدث شيئا فانما يصيفه فحسب بصياغة معاصرة بحيث يبدو وكأنه ابداع وخلق جديد ...

فالفلسفات الحسية والمادية والطبيعية ونظريات اللـــدة والمنفعة والجنس والوجودية الحديثة فى صورها المختلفة،كل هذه النظريات لها جذور ممتدة فى القدم ، ولقد أراد الفكر الانسانى فى العصور المتطاولة أن يتخذ بعضها منهجا له وسلوكا فى الحياة وكلما تشبع بها الناس وملوهـــا طلعت علينا نظـــرة جديدة تناقضها لتحل محل النظرة القديمة التى عملوا على هدمها ..

فأفلاطون قديما نقد نظريات الطبيعيين الاوائل والايليين جميعا وأقام صرح مذهبه على عالم المثال ثم جاء ارسطو من بعده محاولا أن يجعل المثال ليس فى العالم المعقول كما ذهب افلاطون وانما فى العالم المحسوس الذى نعيشه ...

وفى مقابل نظريات اللـــذة تقف النظريات المثـــالية فى مواجهتها لتعكس فكرا بعيدا عن الحس والجسمية .. ثم تأتى نظريات أخرى لتتوسط بين النظرتين المثالية والحسية ...

وهكذا نجد الانسانية تلهث وراء الاشباعات المادية تارة والاشباعات الروحية تارة اخرى فاذا ماعجز الفكر الانساني أن يطفىء ظمأ الطالبين توسط بين المادية والروحية فيأخذ من هذه بقدر ومن تلك بقدر ٠٠ لكنه مايلبث ان يضيق ذرعا فيتمرد على كل شيء ويفلسف واقعه بحسب ميوله واهوانه محاولا اشباع نهمه بأى طريق ٠٠

يرغب الفكر الانساني دوما فى التغيير ولايتوقف ابدا عن التجديد ولو كان هذا التجديد ارتكاسا وانتكاصا وردة عقلية ٠

ولهذا السبب لايمكن القول أن الفيلسوف المعاصر قد استفاد من تجارب الاقدمين،او انه وصل فى فلسفته الاخلاقية أو بحثه في الوجود أو المعرفة الى منتهى غاية الوأصلين ٠٠

لكنه مع ذلك لايمكن انكار أهمية ظاهرة التفلسف ،حيثانه نظرة متعمقة تتمتع بشيء كثير من المعقولية ، بالاضافة الى أن الفيلسوف يعاون على تعميق مفاهيم الانسان العادى الغامضة بحيث تبدو فى صورة واضحة للعيان بدلا من أن تكون احاسيسه وافكاره غامضة لاتفهم على الاطلاق ٠٠

ولاشك ان الفكرة الجيدة تأخذ طريقها الى قلوب الناس قبل عقولهم فاذا ماهضمت اصبحت سلوكا واخلاقا وقيما ٠٠٠ والعكس بالعكس فان الفكرة المنحرفة ممكن أن يحاكيها الجهلة وينقاد اليها اصحاب النفوس الضعيفة ليدفعوا بها كل نقد او نصح يمكن أن يوجه اليهم ٠٠ ومن هنا تبدو اخطار التفلسف

واهميته بين الخاص والعام فما من سلوك سوى او شاذ الى وكان وراءه فلسفة ما وما من تغير اجتماعى أو سياسى للأفضل أو للأسوأ الا وقد حركته فكرة طيبة أو رديئة ..

واذا كان الفكر الفلسفى لايؤثر تأثيرا سريعا ومباشرا فى الافراد والمجتمعات الا انه لايمكن انكار آثاره العميقة على المدى البعيد . فالفكرة ربما تهمل سنوات او قرون ثم ماتلبث ان تعاود الظهور وتسيطر على اذهان الناس بعد كمونها فيتخذونها شعارهم ومبدأهم فى الحياة لسنين وقرون .. وهكذا فان الفكر الفلسفى يمكن أن يؤثر تأثيرا عميقا فى قلب الانسان وعقله ومن ثم فى الشعوب والمجتمعات المختلفة ..

لهذا فان التفلسف فى الامة العربية بخاصة والاسلامية بعامة فى حالة كمون رغم وجود التناقضات بين المجتمعات العربية والاسلامية التى تساعد على ظهور نظريات جديدة تفسر الحياة الاجتماعية والاخلاقية ..

وبالرغم من وجود هذه التناقضات فانه فى تصورنا ـ لن تظهر عما قريب ظاهرة التفلسف نظرا لعوامل متعددة ليس من بينها الافتقار الى الفيلسوف ذاته ، ذلك لأن فى الأمة الاسلامية عقول مفكرة لاتقل قدرة على التفلسف عن عقول المفكرين الغربيين ...

لكن سبب كمون ظاهرة التفلسف راجع الى انشغال الناس

بالاشباعات الاقتصادية التى يجدون مشقة فى اشباعها الأمر الذى يتطلب جهدا ووقتا يستحوذ كل تفكيرهم ، فكيف يمكن التفلسف والامعاء خاوية تستحث الفرد فى طلب الغذاء ٠ الا انه متى أخذ الفرد الحد الادنى من الغذاء وضمن ذلك فى المستقبل فانه مما لاشك فيه سيطرح جانب الخمول جانبا ليبدأ من جديد فى التفكير المتعمق المنظم ٠٠

ولايعتد بالقول بأن هناك بعض المجتمعات الاسلامية تعيش الآن فى ترف اقتصادى اذ أن تلكم المجتمعات لاتمثل اكثر من خمسة بالمائة من المسلمين بالاضافة أن ذلك الترف الاقتصادى انما نشأ طفرة وليس متدرجا فى مراحل ثم أن هذه المجتمعات الصغيرة مازالت تعمل على التهام الثقافات المحلية والعالمية بعد أن مضى عليها وقت طويل وهى تغرق فى الفاقة والجهل والأمراض ٠٠٠

ونحن لانريد أن ندعو الى التفلسف لنحاكى المجتمعات الأوروبية الحديثة اذ أن ذلك النوع من التفلسف استفراغ وليس هضما طبيعيا للافكار ٠٠

انما التفلسف تعبير عن موقف يجب أن ينبع من ذاتية الامة اذ أن افرادها هم جزء لايتجزأ منها ، وهم المعبرون عن طموحاتهم وامانيها المستقبلية ٠٠

هناك ثقافة غربية تغزو الامة الاسلامية شاءت او لم تشأ وهناك محاولات عديدة لايقاف غزوها لكن ليس هناك بعد الفكر

المتعمقة،وهذاهوالموقفالثالثلبناءصرح الاتجاه الفكرىالاسلامى المعاصر ·· ذلك لان هنـاك نوعا من الانفصال الفكـــرى بين المثقفين ، بالاضافة لقطع سبل الحوار والمناقشة بينهم وعدموجود قنوات طبيعية لاظهـــار وجهات النظـــر .وفهم كل فريق لأراء الآخـــر ···

قد يوجد حقا بعض الاتهامات والطعون فى نظرة كل فريق الى العالم والواقع والحياة وتتصاعد ادخنة كثيفة لتحجب الرؤيا فلايرى كل فريق وجه الاخر ···

واذا ظهر بعض المفكرين المجتهدين محاولا التقاط وجهـة نظر الفريقين وجمع شمل الفكرين فانه يحـــارب من كل من الفريقين حيث انه لم يأخذ بنظـــرة أى منهم اذا انه يحمل فى طيات فكره قبسا من نظرة خصومهم ···

واذا قدر للأمة الاســـلامية ان تفيق من سبـاتها فانه لن يتحقق ذلك فى تصورنا الا اذا هضمت التراث الاسلامى وتطلعت بعد ذلك الى الثقافة الغربية ، لتنهل منها ماتشاء بعدما تكون قد تجهزت بدروع واقية من شريعتها ودينها القيم · واذا لم يتحقق لها ذلك فانها ستذوب حتما فى الثقافة الغازية كما هو حادث لفريق من المسلمين الآنوالذينيديرونالمؤسساتالثقافية،أو كما يتجمد الفريق الآخر فيعيش فى عزلة عن المعاصرةويظليردد كلام الأولين فى القرن الرابع الهجرى دون أن يبحث عن البدائل التى يمكن ان يقدمها فى مواجهة الفكر الأوربى الغازى بل يخرج

لنا بعض كتب التراث ليضيف الى هوامشها بعض التعليقات او الشروح اللغوية لبعض مصطلحاتها ..

ويظل الفكر في غيبة عن الوجود وقد جلس كل فريق فى غرف متناثرة بعيدة عن بعضها عن بعض وبرغم انهم يقطنون بيتا واحدا فان كل فريق لايعرف عن الآخر شيئا وحتى لو علم شيئا فانه يعلمه بصورة مشوهة أو تنقل اليه فى صورة تهـدد وجوده نفسه ..

وعلى سبيل المثال هناك فكر ماركسى يدعو لنفسه باسـم الاشتراكية وفكر ليبرالى يدعو الى تمجيد الفرد والحرية وأمـا الفكر الثالث فانه يمثل العقيدة الاسلامية فى ثباتها ووضوحها ويسرها وفطرتها وبساطتها فى التطبيق ..

لكن اصحاب الفكر الاسلامى لايعبرون عنه الا بطريقـة مشوهة ، وكأنهم ينعتون الاسلام بالاسراف تارة ، والتقتير تارة أخرى .. اذ انهم يتركون الاصول ويهتمون بالفروع والأوراق وكيف تنبت الأوراق مالم نركز على الجـذور .. فنتعهـدها بالرعاية .. وكأنهم يظنون أن الناس جميعا على معرفة مسبقة بخصائص واصول الاسلام ولذلك ينصب جل اهتمامهم ببعض المظاهر الشكلية التى لا تؤثر فى قليل او كثير فى ايمان المسلم .

ويتلقف خصوم الاسلام من الماركسيين والليبراليين هـذه المظاهر الشكلية فى حرص شديد لينشروا على الملأ أن الاسلام

هو عبار عن تلك الشكليات التى تتعارض مع اسلوب الحيـــــاة المتمدينة وكأنهم يقولون بصــوت واحد ان الاســـــلام هو ردة ورجعية عن التقدم الحضارى ٠٠وربما يقنع هذا الزعم الكثـير من الذين لايفقهون شيئا عن امور دينهم فيسايرون هذه الدعاوى الطاعنة فى الدين القيم والشريعة الغراء ٠٠

ولايقف هذا التصارع بين اصحاب الماركسية والليبراليـة وبين المسلمين ٠ بل يمتد ايضـــا بين الماركسيين والليبراليين انفسهم كمحاولة لاثبات وجودهم فى واقع الامة الاسلامية ٠

وتنحاز بعض المجتمعات العربية والاسلامية الى الماركسيـة حينا وتلبس ازارها ثم ماتلبث ان تجده مرقعا وضيقا لايحقق لأفرادها الا التعاسة والشقاء ٠٠ فتنفض هذاالازار لترتـدى مسوح الليبرالية الفضفاضة فتشعر بالغـربة وتمرض هــذه المجتمعات مرضا شديدا يمنعها عن الجهاد فتركن الى الخمــول وتصبح اكثر تخلفا وتفككا ٠٠

ان جمع شمل الأمة الاســـــلامية لايمكن أن يتحقق الا عن طريق الفكر ، والفكر الآن غائب عن الوجود ، فكل مجتمــع من المجتمعات الاسلامية يفكر فى نطاقه المحلى بما يحقق اشباعاتـه دون أن يهتم بالمجتمع الأم وكأنه اصبح راشدا وقد فطم من عهد بعيد ، لذلك يجب أن يتصرف فى حرية تامة ٠٠ ومن هنا كثرت الخلافات والاحقاد بين حكومات الامة الأمر الذى جعل الحانهـم

جميعا نشازا لاتسمع حتى لدى شعوبهم ‥ وقد نسى الجميع أنهم لن تقوم لهم قائمة الا بالوحدة والرجوع الى هدى الدين ٠

ولا حل يمكن أن يقوم الا عن طريق أفساح المجال للقنوات الفكرية للتعبير الحر الصريح لاصـــلاح ماأفسدته الاهــواء الذاتية ‥

والايثــار هو المعامل الناجــح الذى يمكــن أن يربط بين شعوب الأمة ويحقق لها التـــوحد مرة أخرى بعــد ان اصبحت دويلات مغلوبة على أمرها ‥

ولن يقبل الايثار كقيمة عظيمة من القيم الاسلامية الا عن طريق التبادل الثقافى والاقتصادى والتعاون فى مجالات الحياة المختلفة بين شعوب الأمة ‥

فاذا ماتم ذلك عملا وفعلا فان الفكر الاســـلامى سينبت شامخا ، وستعلو رآية الاسلام خفاقة فى هذا الزمان ، كما كانت فى عصورها الزاهــرة ٠٠٠

الانسان ذلك الضعيف القـــوى

يرجو الانسان أحيانا أن ينعم الله عليه من فضله وعطاياه. ويسجد راكعا ويرفع يديه الى السماء متوسلا ، وتذرف من عينه الدموع ويدعو من قلبه أن يستجيب الله لدعائه ...

وتمر الأيام ونرى ذلك الفقير غنيا ، وذلك الحزين آنسا ، وذلك التعيس آمنا ، فقد تغير كل شيىء كان بالأمس القريب ، أصبح انسانا غير انسان أمس ، فقد افتقد ربه ، وتغافل عن طلبه ، وقصر في عبادته ، وكأنه لم يلتجـأ اليه منذ فترة وجيـزة من الزمن ، وكأنه لم يرج فضله وعطاياه .. نسى ربه بعد مافتح عليه وانشغل بنفسه وأخذ فى اشباع نهمها فى المأكل والملبس وتحقيق رغباتها فى اللذاذات وكأنه لم يكن بالأمس عبدا فقيرا يطلب من الله العون والمساعدة ..

نسى كل ذلك وطغى وتكبر وحسب أن ما أغـدق عليه من نعم لعلم عنده وانه أفضل من غيره فى الذكاء والفطنة والتجارة والعمارة والصناعة ..

لم يكن بالأمس كذلك وانما كان يحسب نفسه أغبى الأغبياء وكاد القنوط يقضى عليه والتعاسة تسكن قلبه والمرض النفسى يطرحه أرضا .. حتى اذ دعا الله فى لحظة اخلاص .. استجاب تعالى لدعائه وسكب له بعض فضله وأفاض عليه من بعض خيره . فاذا به يتكبر ويتجبر ويطغى فى الأرض ، وكأنه نسى أصلـه

وتغافل عن ماضيهوحسب أن الماضى كان شيئا عابرا ، وأن ماهو عليه من نعمة هو الباق الى الأبد ..

ترك الصلاة ظنا أنه ليس فى حاجة الى الله ، وعزف عن الصوم متوهما أنه لاضرورة له فلماذا يفرض على نفسه الجوع والعطش ، وبخل وشح فلم يزك وزعم أنه لما كان فقيرا لم يحسن اليه أحد .. عامل الفقير بجفوة والمحتاج بغلظة والمسكين بقسوة ورفض أن يعاون أحد من الناس ، وامتلأت خزانته بالمال الوفير وأصبح من ذوى الملك والأملاك والخدم والحشم ولم يعد أحد يأمره بل أصبح السيد الآمر المطاع ..

وحصل بماله على الجاه والألقاب والمركز المرموق وتطلع اليه الناس فى اعجاب على انه العصامى الكبير والمليونير العظيم والرجل صاحب المركز والسلطان والقوة والعرفان ..

ومضت الأيام ويزداد ماله وفرة وتزداد نفسه غرورا وكبرياء وأصبح لايتكلم الا بالاشارة ويعطى أوامره وهو جالس لعدد من التابعين حتى يغير مايشاء ويشترى ما يشاء دون أدنى معارضة أو اعتراض .. فهو المالك المتصرف القوى الناجح ..

وتتغير الأمور فجأة ويسحب الكرسى الجالس عليه من تحته ، اذ يذهب ماله كله فى لحظة وكأنه جمع ليرمى به فى عمق المحيط ، واذا بالقوى المنيع ، يصبح بين ليلة وضحاها الضعيف المتهالك ، ويمضى كل ماله ويمضى معه كل مساعديه

وخدامه ، ويمضى الجاه ويضيع المـــركز المرموق ولايبقى له شيئا ‥ يبكى على ماضاع وعلى نفسه التى أضاعها بغـــروره وتجبره وتكبره وطغيانه ‥ ويتذكر بعد فوات الآوان مافعلـه بالمحتاجين والفقراء والمساكين ‥ وكيف كان يعامل الضعفـاء من الناس أثناء قوته المادية ‥

وينفض الجميع من حوله ولايجد من يلجأ اليه من النـاس فلم يكن قد ترك شيئا طيبا يذكـرونه به ، لم يترك فى مخيلة الجميع الا ذكريات مؤلمة كلها ظلم وبطش وطغيان ‥‥

الى أين يتوجه الآن وقد ضاع كل شيىء ؟ ‥ وبدأ المرض يلاحقه والألم النفسى يزامله والتعـاسة تطغى على قلبه ‥‥ الى اين يتوجه وليس عنده رصيد من الأعمال الطيبة والأفعـال الحسـنة ‥‥

وأخيرا سجد لله وتوسل اليه أن يغفر له ماتقدم من ذنبه ، وأن يسامحه على تقصيره وعصيانه ، وآن يتوب عليه وأن يحسن اليه مرة أخرى ‥ وانه لن يغفل بعد اليـــوم عن طاعته ولن يقصر عن عبادته ‥

ويستجيب الله الغفور الرحيم لعبده العاصى فيغدق عليه من نعمه ويفيض عليه بالرزق الوفير ويرجع اليه الثراء والجاه والمركز المرموق ‥

فهل تغير ذلك الانسان ؟ ‥ لا ٠ لم يتغـير انما رجع مرة أخرى الى تجبره وتكبره وطغيانه ‥ وازداد حرصـا على المال

فجمعه وكاد لاينفقه ٠٠ وأصبح أكثر غروراً واغتراراً عما كان ونسي ربه مرة أخرى ، فترك الصلاة وعزف عن الصوم وقعد عن أداء الحقوق والواجبات وظلم نفسه ظلما عظيما ٠٠ ورفض ان يصغى الى صوت العقل وان يستمع الى نصح الناصحين ، وابعد عنه الاصدقاء المخلصين وقرب اليه أصدقاء السوء والمنافقين ٠٠ واصبح قلبه كالحجارة أو أشد قسوة ٠٠

ومضت الأيام والمال يزيد والطمع فيه يكبر وصاحبنا يزداد قلبه قسوة وضراوة وظلما ٠

ثم لم يلبث أن هاجمه المرض فما استطاع أن ينعم بما جمع ، لقد نصحه الاطباء بالكف عن الغذاء الا بعض الانواع البسيطة التى تجعله يستمر فى الحياة ٠٠ كانت أغلب الاطعمة والمشروبات محظورة عليه فما يكاد يستطعم شيئا .كما أن مغادرته للفراش كان أمرا شاقا فقد شل نصفه الاسفل تماما وماعاد يتحرك الا منقولا أو فى عربة تجره جرا ٠٠ ثم فقد بصره فلم يعد ير ما جمعه من مال ورياش الا تخيلا ٠٠

وأغرورقت عينه بالدموع وهو يتوجه الى الله بالدعاء ويطلب عونه ويستغفر عن ذنوبه ، ويطلب منه تعالى أن يسامحه على تقصيره وذنوبه ٠٠٠

وفى لحظة اخلاص يستمع الله الى عبده العاصى ويغفر له ويستجيب الى دعائه ٠٠ فيشفى من مرضه وتعود اليه صحته ٠٠ ويبصر ويبلى تماما من مرضه ٠٠

وتمر الأيام فيرجع الانسان الى سابق عهـــده مرة أخرى ، ويطغى ويتجبر ويتكبر ٠٠ فلم يتعلم من التجارب السابقة ٠٠ ومضى فى غيه وعاش فى ظلمة وكان شيئا لم يكن وان ماحـدث له كان عارضا أما الباقى له فهو المال والصحة والجاه والمركـــز المرموق٠٠ويعود الضعيف القوى والراجى ظالما وحانثا والمحتاج جباراً متجبراً ٠٠ فهل يستحق بعد ذلك غفران الله ؟ لو فعـل مافعل مرة واحدة مع انسان أى انسان ماغفر له أبـدا ٠٠ وقد فعل ذلـك مع ملك الملــوك وفاطر السـموات وموجد الخلـق والعبـــاد ٠٠ فهل يغفر له تعالى بعد هذا الاعتراض والعناد٠٠ وهل يستحق منه العفو والغفران انه ذلك الانسان الضعيف عند الحاجة القوى عند الاستغناء لكنه ينسى أن القوة من الله وانه مايلبث أن يأتيه الضعف والوهن وأن حياته قصيرة مهما طالت وأن الموت هو حقيقة الانســـان وأنه لابد عائد الى ربه أما الى العذاب المقيم وأما الى النعيم المقيم ٠٠ والله تعالى يمتحن عبده فى الدنيا ويرى الى أى حد يطيعه ويعبده وأنه يعطيه الفرصـة بعد الفرصة ليكون عبدا ربانيا ٠٠ ثم بعد أن يكتب له المـــوت فلا فرصة أخرى ٠٠ اذ يكون قد أعطاه الفرصة الأخيرة التى اذ لم يعتدل أمره ويستقيم فيها كان عقابه من الله شديدا ٠٠

الرباط الوثيــق

يتميز المجتمع الاسلامى فى عصوره الزاهرة ، باحتــوائه للعلماء فى كل فرع من فروع المعارف الانسانية ، وقدرته على ربط الأفئدة والقلوب برباط وثيق ، اذ يجد النــاس المساواة والعدل بين ضفافه ، كما يتحلى جموع العباد بالاخاء ٠٠

ان حضارة العرب نشأت مع الاسلام فلولا الاسلام ماقامت لها قائمة ، وهذا بخلاف حضارة اليونان والفرس والرومان فقد قامت قبل المسيحية ، ولما ظهر الاســلام بدأت تلكم الحضــارات تتقلص رويدا رويدا مع انتشار الاســلام حتى غطى بجناحيه انحاء العالم واحتوى كل فكر وعلم وصناعة ٠٠٠

لقد كان لسماحة الدين القيم الأثر العظيم فى لجوء المؤلفين والمترجمين الاجانب الى عواصم الأمة الاســـلامية ليعيشوا بين احضانها تتكفلهم بالرعاية والاهتمام وتسكب عليهم من عطفها وكرمها ما جعلهم يشعرون بانتسابهم لهذه الامة ، وانتمائهــم لترابها ، فأعطوا لها فى سخاء ، وعملوا بوفاء واخلصوا العلم فى صدق وولاء ٠٠ وتفتحت قرائحهم وتجددت دماؤهم فأخــرجوا النفيس من الجواهر والجديد من اللآلىء ، وهب نسيم الأمل فى كل قلب فظهرت الحضارة الاسلامية فى أبهى حلة لتغــدق على العالم فى سخاء بكل فن وعلم وعمران ٠٠٠

انه من العجب العجاب أن يتحول هؤلاء العرب بعد فتــرة قصيرة من العمر الى علماء افذاذ ، صاغوا أصول المنهج العلمى

وعملوا على تطبيقه فى الوقت الذى كانت فيه اوربا ترسخ فى ظلام العصور الوسطى الكئيبة .

ويقول احد المستشرقين المعاصرين :

ظلت اوربـــا بعد المسيحية اكثر من سبعة عشر قرنـا من الزمان الى أن وصلت الى حضارتها الحديثة ، أما العرب فلم يمض على ظهور الاسلام قرنين حتى غمرت حضارتهم العالم كله بكـل علم وفن وفكــر ...

لقد لعبت سماحة الاسلام الدور الأول فى نشوء التقـــدم والازدهار العالمى ، كما عمل المنهج الاسلامى فى الفكر والسلوك والحياة على ضمان حرية الانسان فلا عبودية الا لله ..

ونحن اذ نقـــرظ رأى هذا المستشرق على انصـافه وذكره بامانة للواقع التاريخى الحى الا أننا نضيف الى قوله فى هـــذا الصـــدد :

ولولا ظهور الحضارة الاسلامية لبقيت اوربا الى الآن على عهدها من التأخر والانحلال ..

ولولا الفتح الاسلامى وانغمار الامم الأخرى تحت لوائـه والاستفادة من مناهج المسلمين الحياتية والأخلاقية والعلمية .. ماحدث هذا التقدم المذهل فى الصناعات والتكنولوجيا الحديثة التى نأكل من ثمرتها الآن ..

لقد فرض المسلمون ابان حضـــارتهم الزاهرة على الامم

الأخرى أن يسعوا فى الأرض وأن يستفيدوا من الموارد الطبيعية التى سخـــرها الله لتكون فى خدمتهم ، وعمـــدوا الى البحث والتجربة فى سنن الله ليستكشفوا ما غمض من الامور ويستجلوا الاشياء الخفيفة فى هذا العالم العريض ..

ولقد ظفر المسلمون بكشوف علمية عظيمة فى مجـــالات مختلفة فى الفلك والهندسة والحساب والجبر والميكانيكا والطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة والموسيقى ، أثروا بها عقـــل الانسان ونفعوا بها كل الناس ...

ولم يتوان الغربيون عن اقتناص هذه الفرصـــة فوضعوا ايديهم على هذه الكنوز ، وبعثوا البعوث لاستجـلاب كل نفيس من علم العرب وصناعاتهم ، وقلدوهم ماستطاعوا الى ذلك سبيلا واقتبسوا علومهم ماقدر لهم أن يقتبسوه ..

لكن المهم فى هذا كله أن الغربيين هضموا التراث الاسلامى فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية والعملية ولم يتـــركوا فرعا من الفروع الا وولجوه ، ولا شيئا فيه منفعة الا واستفادوا منه أو أخذوه ...

تعجب الأوربيون من حضارة المسلمين الـــزاهرة ونظروا اليهم نظرة التقدير والاحترام ، وبرغم الحروب الطـاحنة التى حدثت بينهم ، الا انه كان اثناء فترات السلم يلتقى الافـــراد ، وهنا يحدث التبادل والاستفادة والتاثير والتأثر ، وكان المسلمون لايبخلون وكان الأوربيون لايتركون فرصة الا ويستفيدوا منها

ولا طريقة نافعة استخدمها المسلمون الا وعمدوا على تطبيقها واقتباسها ..

والواقع ان المسلمين كانوا على قدر عظيم من التسامح فلم يقبضوا على اكتشافاتهم العلمية وتجاربهم في شتى الفنون والعلوم بل على العكس من ذلك تماما ، منحوا ذلك عن طيب خاطر لكل من يطلبه بلا مقابل وذلك تمشيا مع احكام الدين ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أنه يتوجب ان يكون العلم لخدمة ولنفع الناس والعباد ..

لكن هل يفعل الأوربيون ذلك وقد امسكوا بناصية الحضارة والتقدم العلمى ؟ ... بالطبع لا فهم حريصون على اخفاء اسرار مستكشفاتهم وقد بخلوا بخلا شديدا فى اعطاء العرب بعض خبراتهم في مجال العلوم العملية التى تقدموا فيها .. واصبح جل همهم تقدم منتجاتهم المصنعة وأدواتهم المستحدثة فى صورة سلع تامة التصنيع فى مقابل عشرات الاضعاف من ثمنها الاصلى ...

لقد استفاد الغربيون من الحضارة الاسلامية بلا مقابل دفعوه ، لكنهم عندما وصلوا الى بعض التقدم فى مجالى العلم والحياة أصبح ذلك وقفا عليهم فقط ..

ما أحوجنا الى هضم ثقافة الغرب وماأحوجنا الى الرجوع الى التراث الاسلامى العظيم لاسترجاع كنوزه ... ثم اظهار ذلك فى صورة تقدم حضارى كى يعيد عصور الحضارة الاسلامية الزاهرة ..

مزاعم اليوجيين

ليس هناك أفضل للانسان من التمسك بعقيدة الله ، والعمل بشريعته ، والاخلاص له تعالى ظاهرا وباطنا ...

ومهما أعمل الانسان عقله ، وألهب خياله ، وألف من عنده تآليف تبدو للناظر معجزات أو خرق عادات ، يحسب المستجيب لها أنها من العجب العجاب .. فانه يبقى على الموحد بالله الا ينجذب اليها الا بقدر مواكبتها لأمر الله ، وموافقتها لارادته تعالى ..

ومن الدعاوى الحديثة القديمة التى تستهدف اظهار قدرات الانسان ، والمبالغة فى تقديس بعض الآفراد الذين يظهر على ايديهم بعض الخوارق اليوجية .

واليوجيون يزعمون لأنفسهم أفعالا وأعمالا وأقوالا لايستطيع من هو دونهم أن يتقدم فيها خطوة واحدة ، أو أن يحاكيهم فى ابراز بعض منها ، لذلك فانهم يظنون أن مايتوصل اليه احد اليوجيين من قدرة على خرق العادة انما هو دليل على التقدم الروحى ومن ثم الاتحاد بالله ..

ويخترع اليوجيون قصصا وروايات يؤيدون بها دعاويهم ، لايستطيع من هو دونهم أن يتقدم فيها خطوة واحدة ، أو أن فى الحديث عنها ، ويحيطون انفسهم بهالة من التقديس المصطنع ، فيلتف حولهم البسطاء من الناس بأمل أن يمنحونهم بركتهم ويوصلونهم الى السعادة المرتقبة ..

ويتناقل العامة الكثير من القصص والروايات التى حدثت وكان ابطالها من معلمى اليوجية ، ويستخلص القارىء منها أن الهدف الاساسى هو ابراز عظمة اليوجى لا عظمة الله ٠٠

والغريب أن معظم هذه القصص والروايـــات المتناقلة ، يعوزها الحكمة ، وتفتقر الى الموعظة الحسنة ، وتبدو احيـانا عملا غير اخلاقى ، من ذلك ماورد عن احد اليوجيين أنه استطاع أن يعين تلميذه وكان طالبـــا فى احد الجـامعات الهنـدية ، استطاع أن يعينه على النجا حفى امتحان « البكالوريوس » دون ان يكون التلميذ مستعدا للامتحان ، فقد كان دائب التغيب عن حضور المحاضرات الدراسية ، منهمكا فيما يشغله عنهـا ، ومع ذلك فقد نجح بدون بذل ادنى جهد ممـا كان موضـع اندهاش أساتذته وزملائه الذين كانوا يجزمون قبل انعقاد الامتحـــان التحريرى بأن ذلك الطالب من الراسبين ٠٠٠

والهدف من هذه القصة ابراز قدرات المعلم اليـوجى على تسخير مايراد تسخيره لمصلحته ، واظهـار خرق العـــادات على يديه ٠٠ ولاشك أن ذلك السلوك يعد عملا غير اخلاقى ، وأنـه يتنافى مع الفطرة السليمة والقلب السليم والعقل الرشيد ٠٠

اليس يدعو هذا العمـل الى الغش والتـدليس ، ولو كان باستخدام طرقا غير منظورة ، وكيف يتكافىء الطالب الفاشـل مع الطالب المجد فى درجات الامتحان ، ثم كيف يعطى الطـــالب الفاشل شهادة جامعية بمـوجبها يعمل طبيبـا أو كيميـائيا أو مهندسا دون أن يكون قد حصل بكفاءة على تلك العلـــوم التى

تؤهله الى الانخـراط فى سلك الاطبـــاء او الكيميـائيين أو المهندسين .

وتروى كتب اليوجية الكثير من هذه القصص اللااخلاقية لتثبت عظمة اليوجى وقواه الروحية والبدنية فحسب ، من ذلك أن احد اليوجيين الكبار قد قربت منيته ، فأخبر تلامذته بذلك وحدد لهم ميعاد انتقاله فتوسلوا اليه والدموع تذرف من أعينهم أن يمد فى اجله ، فهم فى حاجة ماسة الى تعاليمه ، وبعد الحاح شديد قبل اليوجى المعلم أن يمد فى عمره بقواه الروحية وعاش بعد ذلك دهراً طويلا ..

وواضح من هذه القصة التكلف والابتداع ، فضلا عن عدم مواكبتها لعقيدة التوحيد ، التى تنص على أن الذى بيده أمـر الموت والحياة هو الله وحده ، فكيف تستقيم دعاوى اليوجيين ، وهى بعيدة كل البعد عن الأمر الالهى ؟

والعجيب أن اليوجى يذكر لتــلامذته حيواته السابقة ، فيزعم أنه كان كذا أو كذا قبل أن يكون فى صورته الحـالية . فهو يتنقل من جسد الى جسد أو كما يزعم اليوجيون من هيكـل الى هيكل فى كل حياة ، بل يدعى اليوجيون أنهم بعد المـــوت سينتقلون فى صورة كذا أو كذا ... والعجيـــب أن تلامذتهم يصدقون على اقوالهم ويبحثون عنهم بعد وفاتهم ، وتذكر كتبهم أن اليوجى القديم الذى عاش فى القرن العاشر انتقل الى هيكل آخر بعد وفاته واشتهر باسم كذا ، ثم انتقل بعد ذلك باســـم كذا .. وهذا مايسمى بتناسخ الأرواح ..

ان عقيدة اليوجية تشتمل على التحريف الواضح ، والبعد عن الحق والرشاد ، اذ لايمكن أن يقبلها عقل رشيد ، ونفس مستقيمة تعرف الله حق معرفته ..

ويحاول بعض اليوجيين الزعم بأن المعلم اليوجى يستطيع أن يشفى المريض ولو كان على وشك الموت ... وتذكر قصصهم أن احد مريدى اليوجية أصيب بمرض الكوليرا الخطير ، فحضر الاطباء واعلنوا أن المريض ميئوس من شفائه وانه على وشك الموت ، فاستدعى احدهم المعلم اليوجى ونظر اليه وقال : سيشفى تماما ..

ولم تمض سويعات حتى قام المريض معافيا تماما ، وكأنه لم يصب بشىء ، وقام مع زملائه بعدها برحلة طويلة عبر جبال الهملايا كان قد اعد لها من قبل ...

ومن هذه القصة يتضح التصنع فى ذكر الوقائع ، بالإضافة الى الادعاء بأن المعلم اليوجى قادر على شفاء من يشاء فى أى وقت يشاء ، وهذا تبجح معناه مشاركة الله فى ربوبيته ، ومنازعته تعالى فى ملكه ، ومشاكلته تعالى فى قدرته فى أن يحيى من يشاء ويميت من يشاء ..

ان فى انتساب قدرات خاصة الى المعلم اليوجى انما هو نوع من المخادعات ، تدل على موافقة ابليس وجنوده ، ومتابعة الاهواء .. اذ انها ادعاء سافر لمشاركة الله تعالى فى ربوبيته..

ويظل هناك السؤال الذى لايستطيع أن يعطينا اليوجى

جوابا عليه وهو ماالحكمة فى انتظار اليوجى لخرق العـــادة ، وابراز قـــدراته ؟

ونحن نوقن أن اليـــوجى المعلم مايستظهر مايستظهره من المخادعات ، الا ليقال عنه انه عظيم أو قديس . فهناك من الناس من يكد طول حياته ليجمع المال لالشيء الا ليقال انه ثـــرى ، فيشعر بلذة نفسية ، وكذلك الذى يسعى لتعلم وممارسة بعض الممارسات الخارقة للعادة فانه يأمل من اظهار هذه الخوارق على يديه مدح الناس له والثناء عليه ، وهذا مايشعره بلذات نفسية تزيد كثيرا عن لذة جمع المال وتحقيق الشهوات العاجلة ..

ان شهوة الظفر التى يستشعرها المعلم اليوجى ، توصلـــه الى تحقيق مآربه فى تقديس الناس له ، ووضعه فى منزلة عالية تفوق منزلة الحكـــام والرؤساء ، وهذا فى تصورنا الهـدف الرئيسى الذى يجعل المعلم اليوجى يجهد نفسه فى عمل بعض التمرينات والممارسات الصعبة التى تحتاج الى مكابدة ومعاناة ، وذلك من اجل الوصول الى مرتبة او مقام عال لم يصل اليه الا فى النذر القليل ..

لكن اذا نظرنا الى اليوجية من خلال النظرة الاســـلامية ، لوجدنا بعدها عن الحق والاستقامة والعدل ، حيث ان اليوجى يعمل لارضاء نفسه لا لارضاء الله ، ثم انه يسعى لتحقيق ذاته لا لابراز نعم الله على الانسان .. وكل فعل يقوم به اليـــوجى لايعول عليه ولا قيمة له مادام بعيدا عن أمر الله وحكمته البالغة وحججه الدامغـــة ..

لقد خلق الله الانسان ليعبده وليعمل على تحقيق كلمتـــه تعالى فى الارض ، فاذا جاء اليوجيـــون أو غيرهـم ليستظهروا قواهم الذاتية ، ويصطنعوا بعض المخادعات فى شكل خـــوارق للعادات ، فان فعلهم هذا مما يغضب الله ويزيد نقمته تعـــالى عليهـــم ...

ولاشك ان ممارساتهم كممـــارسات السحرة والمشـعوذين التى يقصدون منها منافع شخصية ، ومصالح ذاتية ، ومطـالب دنيوية ، وهذا يجعلهم من حزب الشيطان وليس من حزب الله..

فاذا أدعى اليوجيون الاتيان بالمعجزات والكرامات تشبهـا بالانبياء والكرامات ، فان زعمهم هذا بعيـــــد عن الصدق والحق ، اذ أن الانبياء قد اصطفاهم الله واجتباهم وأوحى اليهم ليبشروا الناس والعباد وينذرونهم لكى يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يدع نبى من الانبياء أن مايأتى على يديه من معجزات راجع الى علم عنده أو انه مخلوق من طينة غير طينة الانسان ...

لكن المعلمين اليوجيين يدعـون انهم مخلـوقات ارقى من البشر ، وانهم فى اتحاد دائم مع الله ، وانهم لايموتون ، انمـا تتغير هياكلهم بعد فترة من الزمان ليتلبسوا فى هياكل غيرها ، وانهم يعيشون حيوات متعددة ..

اليس ذلك يعد غرورا واغترارا ، وبعدا عن دين التوحيد،

ومشاركة له فى ملكه ، وتطاولا على بديع خلقه ، وادعاء كاذبا بقدرات انسانية مستثناه ..

ان أقوال اليوجيين وافعالهم لانصيب لها من الصحة ، وان صدقت بعض اقوالهم تحققا ، فذلك قد تم بأمر الله وبمشيئته تعالى ولم يتم بأذن من المعلمين اليوجيين كما يزعمون ..

دفع القلب للمنكرات

لو استطاع الانسان أن يقاوم المنكر بالعدة والعتاد ، فيقضى عليه فى مهده لكان ذلك خيرا عظيما ، لكن استفحال المنكر وضعف المقاومة ثمرة فجة للتخاذل والسلبية والخوف على الحياة أو الخوف من بطش الاعداء ...

وربما تضعف مقاومة المنكر ولو باستعمال النصيحة الخالصة المخلصة أو بالموعظة الحسنة او بالترهيب من نقمة الله والترغيب فى نعمة الله ، وربما تضعف مقاومة المنكر عند بعض الناس فلاينكرونه باليد أو باللسان أو حتى بقلوبهم ، وبذلك يساندون الباغى فى بغيه ،والظالم فى ظلمه ، والفاسق فى فسقه ..

ان واجب المؤمن فى الحد الأدنى أن يقاوم المنكر بقلبه ، والا خرج عن حظيرة الايمان ، فكيف يقف مستسلما لما يشاهده أمامه من منكرات ، وكيف يرى الظلم ويسكت عليه . والطغيان ويرضى به ، والتجبر ويستكين له ، والتكبر ويرضخ له ، كيف يمضى مطأطىء الرأس امام الفاسقين دون أن يعارض أفعالهم الذميمة ولو بقلبه ..

ان هذا السلوك لايواكب الايمان ولايتمشى مع جرعات الايمان التى أودعها الله فى قلبه ، والتقوى التى يتحصل عليها كنتيجة لايمانه بربه ..

يجب على المؤمن اذن أن يدفع المنكر بقلبه وهذا أضعف الايمان ، فان لم يستطع خرج عن دائرة الايمان الى دائرة الرياء ·· لأن الدفع قوة بالله ومنعة من الله ودليل اكيد على وجود نوع من الايمان فى قلب العبد ···

لذلك فانه اذا كان دفع المنكر باليد هو اشتراك بين القلب والجوارح كلها ، واذا كان دفع المنكر باللسان اشتراك بالقلب وبعض الجوارح ، فان دفع المنكر بالقلب عمل بالقلب دون الجوارح ، فاذا لم تشترك الجوارح فى دفع المنكر وتقاعس القلب أيضا عن دفعه ·· فلن يبقى شىء بعد ذلك يسمى الدفع للمنكر ومن ثم يعبث صاحب المنكر فى الارض فسادا وافسادا··

ان القوة القلبية قوة عظيمة لو استخدمت فى الدفاع عن المعروف والحق ، وهى قوة متبطلة مريضة اذ تراخت ونامت دون أن تدفع المنكر بعيدا ··

وتأثير القلب على الاحداث يعد تأثيرا أيجابيا ولو انه لا يظهر فى شكل ممارسات عملية ظاهرة ، الا ان تأثيره الباطنى أعظم اثرا من التأثير الظاهرى ، فالقلب كقوة روحية يرسل معانى ربانية تشع الى الخارج او الى الموضوعات الخارجية فتظهر فى ضروب واضحة من السلوك والتصرفات ··

حقا ان القلب عند استقامته مع الله ، وسلامته من الآفات والنقائض يبدو فى سكينته وأمنه قويا منيعا ، لايمنعه شىء من

اجتياز السحب ، ولاتخيفه قوة الاعداء ، ولاتمنعه المحن والشدائد من الجهاد والاجتهاد ·· فينفث فى عدوه الخوف بسلاح الايمان ، ويهاب صاحبه الظلمة والفسقة من حرب الشيطان ، ويردهم خاسئين بقوة نفسية من ذلك القلب السليم··

ربما ينكر البعض هذا المشهد القلبى ، ولهم العذر فى ذلك حيث لم يجربوا بعد تأثير القوة النفسية على الأحداث ، اذ انها لاتخضع للمعايير الحسية ، ولاتقوم بعلل ومعلومات ظاهرة ، وبرغم ان القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة تؤكد على أن صاحب القلب السليم يقبل عمله عند الله تعالى ويجازيه خيرا بخير وفضلا ومثوبة على صدق نيته مع الله ··

وترتبط سلامة القلب مع الايمان كما يقترن الايمان بالسكينة القلبية ·

« هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم »

فالايمان حصن يحتمى به المؤمن فيستظل بنور الطمأنينة والامن والسكينة ، ومادام المؤمن خالص النية لله ، فان عمله نور يؤيده الله بانواره فييسر له ماكان صعبا ، ويصل الى ماكان مستحيلا ، ويبدل الله عسره يسرا ···

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى »

فالنية بهذا المعنى هدف القلب ومقصده فى مواجهة العالم الخارجى ، ومتى ارتبطت هذه النية بالعزم والارادة ، يسر الله له العمل فتزال العوائق ، وتتغير الظروف ، وتنمحى الحواجز ، ويصل الذى خلصت نيته مع الله الى تحقيق الغـــايات النبيلة والصلاح والاصـــلاح ٠٠٠

واذ اعترض المعترضون على قدرات القلب السليم برغـــم نواياه الطيبة على دفع المظالم ، وأيقاف المنكر ، واندحار اصحاب القوة الحسية الطائشة ، اذا اعترض المعترضون وتشككوا فى صدق مانقول بدعوى ان النيـــة غير كافية وان القلب السليم لايكفى وحده لصد العدوان وايقاف نزيف الظلم عن العبـــاد ، فاننا نرى أن المؤمن مطالب بدفع المنكـــر بيده ـ كما ورد فى الحديث ـ فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمـــــان ٠٠٠

لكن لايجب أن نظن أن المؤمن عندما يدفع الظلم والمنكـــــر والعدوان بقلبه ، فانه ضعيف فى ذاته ، انمـــا يدفع بقلبه لأن ذلك ماتيسر له عمله ، اذ انه اذا تمكن فى ظروف أفضل لدفعه بلسانه ، ثم انه اذا تمكن بعد ذلك بمقاومته بالعدة والعتـــــاد لفعل ذلك دون تقصـــــير ٠٠

فدفع المؤمن للمنكر وان كانت درجته الدنيا عن طريـــــق القلب ،فان ذلك لايقلل من شأنه ، مادام ليس حاصلا على القوة المادية التى تناصره ضد المظالم والمنكرات ، وبذلك يكون عمله

مثابا عليه مادام قد بذل جهده الميسر له فى دفع الظلم ومحاربته ..

ويمكن ان نمثل لذلك بالمؤمن الاعزل من السلاح الذى يواجه عدوانا شديدا ، فهو لا يستطيع أن يقاوم الظلم والعدوان بيده وبلسانه والا قتل ، انما يستطيع ذلك بقلبه فهو مجاهد فى سبيل الله يستحق المثوبة على عمله ، مثله فى ذلك مثل المؤمن الذى يمتلك العدة والعتاد ويستطيع مجابهة ظلم المعتدى ، فبقدر مايبذل كل منهما جهده فى الجهاد بما تيسر له بقدر ما يكون الجزاء .. فهى جميعا صورة للجهاد وان اختلفت ظاهريا فى مجابهة العدوان والمنكر ..

واذا كان كل ماتيسر للمؤمن ، فى ظرف من الظروف هو الجهاد القلبى ، فانه يعد فى ذاته عملا رائعا يجب الاشادة به ، مثل مايشاد بالجهاد الاصغر سواء بسواء ، لانه جهاد فى ظل الامكانات المتاحة ، فاذا قيل انه موقف سلبى لايقدم ولايؤخر فى نفع الظلم والمنكر ، فان هذا القول يعد نجاحا لجهد المؤمنين ..

والذى يعد حقا موقفا سلبيا ، انما يكمن فى ترك الظالم المعتدى وصاحب المنكر يعيث فى الارض فسادا وافسادا ، دون أن ندافعه بالجهاد القلبى اذ لم نكن قادرين على دفعه بالعدة والعتاد ...

كما اننا نخرج عن طريق الايمان اذا وافقنا ظاهريا الباغى أو شاركناه فى هواه ، أو تعاوننا معه بصورة من الصور

فى مخطط من مخططاته بدعـوى اننا لانقـدر على صـده ، أو لارتكاننا على ضعفنا وقلة حيلتنا ..

ان خوف الظالم مع قدرته على البطش ، يصبح خوفا مقيما ، اذا جابهه المؤمن بالدفـع القلبى ، اذ يشعر باسلحة المؤمن غير المرتقبة وهى تنفث الى نفسه فتحيل حياته نكدا وهما وغما .. ومهما ارتكب من حماقات ، وازداد شراسة من الناحية الظاهرية، فانه فى الواقع يشعر فى داخله بالانهيار التام وقد ضـاع آمنه وفقد سكينته ..

واستمرار المؤمن فى الدفع القلبى ضد المنكر ، ومجابهته بالقوة النفسية ، تمكين فى آخر الأمر فى تقوية حصن المؤمن ، واضعاف لحصن الظالم المعتدى وبهذا الطريق يكون النهى عن المنكر قد وقف حائلا ضد تنفيذ مخططات المعتدى ثم قوى الدفع حتى اصبح بالقلب والجوارح ثم اكتمل النهى عن المنكر باعداد العدة والعتاد .. فاذا بالقوى الغاشمة تسقط متهالكة ضعيفة ، واذ بالمنكـرات تتقلص ليحـل محلها الحق والعـدل والأمر بالمعـروف ...

ان قوى المؤمن الروحية والنفسية الهائلة تكمن فى علاقتـه الوطيدة بالله تعالى ، وكلما ازدادت شحنة الايمـان بالنـور الالهى ، كلما تمكن من نشر هذا النور بين الآخرين ولكلما قوى الاستعداد من الله كلما قوى الامداد للآخرين . فيشع ذلك النور

فى الظلمات ، ويتبدل الضعف الى قوة ، والوهن الى منعة ، ويبدو المؤمن كنور يمشى بين الناس يثبتهم فى الحق ، ويحفزهم ضد الباطل ، ويشحذ هممهم لملاقاة الظالم والمعتدى والمجاهر بنفسه ، فينتشر بذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهـذا فضل الله على المجاهدين .

المبشرون بالجنـــة

عرف كل منهم مقامه فى الجنة ، واتخذ معه أخا ورفيقا فى رحلته من الحياة الدنيا الى الاخرة ، وأطمئن قلبه وأمنت نفسه ، فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالبشرى التي تشتـــاق اليها كل نفس ، ويأمل الناس كل الناس أن يحظوا بها ، ويسكنوا اليها ، بعد رحلة المجاهدة فى سبيل الله ..

ولو عرف غير العشرة ـ مآله ، وأيقن كل مسلم من الرحمة الالهية ، والنعمة الربانية ما أفضى به الرسول صلى الله عليـه وسلم الى العشرة المختارين ، لكان ذلك الحدث الأعظم فى حياته ، ولوصل الى شاطىء الامن والامان ، ووثق من طريقه وارتـــاح قلبـــه ...

يشكو بعض المسلمين أحد الصحابة الاعاظم ويمنى النفس أن يدخله تعالى النار فقد اعتقد ظلما أنه ظلمه ، يشـكو بعض المسلمين الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولوا : ليدخلن حاطب النار ...

يرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :
« كذبت لايدخلهـــا فقد شهد بدرا والحديبية »
(عن ابن عباس)

لقد شرف الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه ، ووضعهم فى منزلة عالية ومقام أمين ، واثنى على جهـادهم ، وامتـــدح افعالهم ، ونهى عن سبهم ، وغض عن هفواتهم ، وصفح عمـــا

جرى بينهم وصدر عنهم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلـم في ذلـــــك :

« لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا . مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه »

وعن الحسن رضى الله عنـــه :

« قال رسول الله صلى الله علي وسلم اصحابى فى النـــاس

كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح » .

انهم الثلة القليلة المباركة التى صاحبت الرسول فى رحلـة دعوته الناس للايمان برب الناس ، انهم النجوم الساطعـة فى الليل البهيم ، تنير الطريق الى الله ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لاتزالون بخير مادام فيكم من رآنى وصاحبنى ، واللــه ما تزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآنى وصاحبنى والله لاتزالون بخير مادام فيكم من رأى من رأى من رآنى وصاحبنى .

وأول الصحابة الذين بشروا بالجنة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، يقول عنه على بن ابى طالب كرم الله وجهه :

« أول من اسلم من الرجال أبو بكر »

ويقول عنه حسان شاعر النبى صلى الله عليه وسلم :

وثانى اثنين فى الغـــار المنيف وقد طاف العـــدو بهم اذ لقــد صحــب ابو بكــر النبى صلى الله عليه وسلم وهــو ابن ثمان عشر سنة فى تجارة الى الشام ، حتى وصلوا الى مكان فيــه سدرة ، وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى ظل السدرة ، ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا ، وسأله عن أمر الدين ، فقال له الراهب من الذى يجلس هناك فى ظل الســـدرة أجاب أبو بكر : هو محمد بن عبد الله ٠٠ قــال الراهب : والله هذا نبى الله ، ما استظل تحتهــا أحد بعــد عيسى بن مريـــم الا محمد صلى الله عليه وسلم ٠

فأيقــن ابو بكر منذ تلــك اللحظة أن الرســول هو النبى المرتقب ، ولم يدخل الشك فى قلبه طوال صحبته له ٠

واما الفاروق عمر فلقد أعز الله به الاسلام وهاجر علانية دون خوف أو وجل وتوفى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه وبشره بالجنة وأخبره أكثر من مرة أن الله جعل الحق على لسانه وقلبـــه وأن الشيطان يفر منــه ، وأن أهل الســماء استبشروا با سلامه ، وسمى عمــر بالعبقرى والمحدث وسراج أهل الجنــة ٠٠

عاش الفاروق حميدا ومات شهيدا يكره البـــاطل ويحب الحق ، ولو كان بعد النبى نبيا لكان عمر بن الخطاب فهو أول من كتب تاريخ المسلمين ٠٠ من الهجرة الشريفة ، وأول من حض

على جمع القرآن ، وأول من جمع الناس على صيام رمضـــان ، واول من عمل الدرة،وأنب بها الخارجين،وأول من وضع الخراج وعين القضاة ورتب الدواوين ، وأول من سمى بأمير المؤمنـين وفتح الله على يديه بلاد الروم والقادسية بعد فتح دمشق حتى انتهى الى حمص وبلاد حرام ونصبين وعسقلان وبيت المقدس والأهواز ومصر ونهاوند وأصفهان وفارس وهمذان والنـوبة وغير ذلـك كثـير ..

وأما عثمان بن عفان ، فهو من العشرة المبشرين بالجنـــة ، وهو كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نـور أهل السماء ، ومصباح أهل الارض ، وهو الذى جهز جيش العسرة ، كان كثير الحياء ، بل أصدق الامة حياءا ، وهو أول من هاجـر الى أرض الحبشة ، وأشبه الصحابة خلقا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الرابع فى الدخول الى الاسلام ، ومناقبه لا تعـــد ولا تحصى ...

وقد دعى له الرسول صلى الله عليه وسلم بدخول الجنـــة فقد كان عثمان أوصل الناس للرحم ، حتى قيل أنه لن يحاسب أو يحاسب سرا وهو أفضل النـــاس بعد عمـر ، ولقد شهد له النبى بأنه على الحق ووصفه بالأمين .

وقد شبهه الرســول صلى الله عليه وســلم بابراهيم عليـه السلام ، كان صاحب فراسة : فقد دخل عليه برجل وقد نظر الى امرأة أجنبية فقال له عثمان رضي الله عنه أيدخل على أحدكـم

وفى عينيه أثر الزنا ، فقال الرجل أوحى بعد رسـول الله صلى الله عليه وسلم · فقال لا ·· قول حق وفراسة صدق ·

وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقد شهد له النبى بالجنة ، وله بيت فيها ، كما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم وأن له فى الجتة عصا من عصى الجنـــة يزود بها المنافقين عن الحـــوض ···

وفضائل على كرم الله وجهه لاتعـــد ، فله محبة من الله ، وتفضيل فى المنزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كـــان شغوفا ، كما كان الرسول شغوفا به ، ومر اعياله ، وداعيـا له بالجنـــة ··

لقد أحرق على كرم الله وجهه ، قوما اتخذوه الها دون الله عز وجل ، وقال لهم انما انا عبد مثلكم أكل الطعام كما تاكلون وأشرب كما تشربون ان اطعته أثابنى ان شاء ، وان عصيـت خشيت أن يعذبنى ··· فأبوا فطردهم ، ثم رجعوا يرددون هذا الكلام ، فقال لهم : انكم ضالون مفتونون ، فأبوا ، فلما كـان اليوم الثالث رددوا نفس الكلام فقال قولته المشهورة والله لان قلتم لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا ، فحفر أخدودا وأوقد فيه نارا ، وقال ، انى طارحكم فيها أو ترجعون فأبـوا ، فقـذف بهـم فيهـــا (١) ·

وقد شبهه الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة خصـــال من خصال الانبياء عليهم السلام ، فقد ذكر أن الرسول صلى اللـــه

(١) (المخلص الذهبى) ·

عليه وسلم قال : من أراد أن ينظر الى آدم فى علمه والى نـوح فى فهمه والى ابراهيم فى حلمه والى يحى بن زكريا فى زهده ، والى موسى فى بطشه ، فلينظر الى على بن أبى طالب (١) .

وزاد ابن عباس رضى الله عنه « الى يوسف فى خصـاله » فلينظر الى على بن ابى طالب .

لقد كان على بن ابى طالب من خير البشر ، وأفقه النـاس علما ، وأرسخهم قدما فى الايمان ، وأكرم الناس ، وأزهدهـم فى الدنيا ، وأكثرهم تواضعا وحياءا من النبى وخوفا من الله .

ومن المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله ، فلقد شـهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وآخى بينه وبين الزبير فى رواية ، وآخى بينـه وبين عبـد الرحمن بن عوف فى روايـة أخرى ، له مناقب كثيرة ، وفضائل عظيمة فقد شهد الحديبيـة وأبلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقى الرسول الكريم بيده فشلت يده ، وهو من الثمانية ، الذين سبقوا الى الاسلام ، ومن الستة الذين جعل عمر منهم الشورى ، ولقد توفى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، وهو من حـوارى النبى ، قد نزع الله من صدره كل غل وحسد كان خطيبـا من أعظم خطباء الصحابة .

أما الزبير بن العوام ، فقد كان سمحـا ورعا ، كريمـا ، جوادا ، حتى عد من أكـرم النـاس على عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة .

---

(١) اخرجه الحاكمى .

ثم نجد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، وهو الأمين فى الأرض وفى السماء ، وثــق به النبى صلى الله عليه وســلم وبايمانه ، حتى قيل آنه ممن سبقت له الســعادة وهو مايــزال فى بطن أمه ٠

كان كثــير العلم ، حتى أن عمـــر رضى الله عنــه ، كان يستشيره بالرأى ، وأما عن خوفه من الله وتواضعه وتعففـــه فكان مضرب الامثال ٠

ومن المبشرين بالجنة سعد بن مالك ، فقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ومناقبه عديدة ، وفضــائله كثيرة ، كان شديدا فى الدين ، زاهدا فى الدنيا ، شجاعا غيورا على أهل الله ، حريصا على البر والصدقة ٠٠

وأما عبيد بن الجراح رضى الله عنه ، فقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، حتى أن عمر بن الخطاب اختصــه بالخلافة ان مات وهو حى ، كما قربه أبو بكر الصــديق رضى عنه ، وقال عنه : عليكم بالهين اللــين ، الذى اذ ظلم لم يظلم ، واذا اضيف اليه ظفر ، واذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين شديــد على الكافرين ، عليكم بأبى عبيده الجراح ٠

ومن العشرة المبشرين بالجنــة ، سعيد بن زيد ، وهو من الذين عبدوا الله على دين التوحيد فى الجاهلية ، وقد هـــداهم الله اليه بغير كتاب ولا نبى ، كان اسمه فى الاسلام ، سعيدا ، وكان فى الجاهلية أيضا سعيدا ٠

كان زاهدا ، ذو دعوة مجابة ، فلقد نازعته امرأة فى داره ، فقال دعوهـا ، فقد سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : من أخذ شبرا من الأرض من غير حق طوقه الله فى سبع أرضين يوم القيامة ، اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل قبرها فى دارى ، فأعمى الله بصرها ، وكانت تقول أصابتنى دعوة سعيد بن زيد ، وبينما كانت تمشى فى الدار فمرت على بئر فوقعت فماتت (١) ٠

ولا يمكن ان ننسى ابا ذر الغفارى ، وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن مسـعود ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، والمنذر بن عمر ، وجعفر بن ابى طـالب ، ومعاذ بن جبل ، وخارجة بن سلامة ، وأويس بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومصعـب بن عمـير ، وأبو أيـوب خالد بن زيـد وأبو حذيفة بن عتبه بن ربيعه ، وعباد بن بشر ، وأبى بن كعب ، وسالم مولى أبو حذيفة ، وسلمان الفـارسى ، وسعد بن ابى وقاص ، وصهيب ، وبلال الحبشى وأسامة بن زيد ٠

فان هؤلاء ثلة من الصحابة الأجـلاء ، الذين جاهدوا فى سبيل رفع رآية الاسلام ، ورافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى جهاده ضد المشركين لاعلاء كلمة الدين ، فمنهم من قتـل شهيدا ، ومن عاش حميدا ، وقد أثنى النبى صلى الله عليـه وسلم على جهادهم فى الدنيا ، ودعـا لهم بدخول الجنـه ، وقد بشروا بها جميعـا ٠

---

(١) (أخرجه مسلم مع اختلاف فى اللفظ) ٠

الانسان بين الارتكاس والتكامل الأخلاقى

كلما تأملت عالم الحيـــوان أنكرت كثـيرا من سلوكه فى
البطش والعدوان والشراسة ٠٠٠ لكنى عندما أتـــــأمل
أحوال الانسان أجـد أن هنـــاك بعضـــا من ســـلوك
الحيوان فى طبعه وكأنه يحاكيه فى الشراسة والعدوان ٠٠

عجيب أمر الانسان خلق من طين ويحتقر طينته ، ويخشى الجراثيـــم وقد أمضى فى خلقه طورا يشـــاكل الجــرثومة فى جرثوميته ، يكره الدم ومنه نطفته وعلقته ، يخـــاف المـــوت واليه يعود كما أتى ٠٠

ويشتد عود الانسان وتستقيم قامته ، ويمشى على الارض التى خلق منها فى خيلاء ينظف من ترابيتها جسمه ولباســـه وحذاءه ، ويغتسل من الوسخ ويتطهر من الجراثيم ويعقم مأكله ومشربه منهـــا ٠

وينشأ مع هذه الطبيعة للانسان طبعا آخر ، فلقد أكـــرمه الله وسخر الارض والبحار والفضاء له ، وفضله على كثـير من خلقه وجعله فى هذه الدنيا مستخلفا ٠٠ فهل عـــدل الانسان مع غيره أم جار وظلم نفسه ٠٠

تملك الانسان الاغترار بنفسه فحسب نفسه أحيانا طاووسا يمشى مختالا فخوراً يظن أن لا أحد مثله جمالا وبهاء وعظمـــة

فيرفع رأسه فى كبرياء ، ويشد عنقه فى افتخار ويميل برأسه فى تجبر وخيـــلاء ...

فاذا امتحن بشىء من الشدة خاف وفزع وخبأ جسمه حتى لايؤذى وكشر عن أنيابه مثله فى ذلك مثل حيوان « القنفـذ » اذا أحس بالخطر تكور وغطى جسمه بالشوك من كل جانب .

وعندما لايستطيع الانسان الهرب من عدوه دفن رأسه فى الرمال كأنه لايسمع ولايرى مما حواليه شيئا وهو فى ذلك يقلد النعامة عندما تدفن رأسها فى الرمال جبنا وهلعا ..

وفى مواطن القوة يرجع الانسان الى طبع النمور فيهاجم فى قسوة ويقتل فى شراسة ويقدم على سفك دماء الفريسة وهو ليس فى حاجة اليها مستخدما الغدر والخيانة ..

ويتفنن الانســان فى الأذى ويســتخدم حيل الثعــالب فى التخطيط لضحاياه ، ويداعب الفريسة ويصادقها حتى اذا وجد الوقت مناسبا انقض عليها بلارحمة ولاهوادة ...

فاذا جاءت الريح بما لاتشتهى السفن ووجد الانسان نفسه فى مأزق فر كالارنب ، وترك كل شيىء خلفه يريد أن ينجـو بنفسه .. وليمت الآخرين ..

ويتخذ الانسان من طباع القط أحيانا بعض خصاله ، فاذا أؤتمن خان الأمانة فى غفلة من صديقه وصاحبه ..

واذا غضب كشر عن أنيابه كسبع هائج يهـاجم فى قسوة

ويهاجم فى شراسة ولايهدأ الا وقد فتك بمن ناصبه العداء ..

ويتقوى الانسان أحيانا بغيره ليغلب عدوه ويحاكى الذئب فى نذالته فيهاجم مع غيره من الذئاب الاعزل الضعيف فاذا ناصر عدوه احدهم وبدت له .. له قوته فرا هارباً مذعوراً ..

ويحاكى الانسان أحيانا الحيوان فى كل صوره ، وكأن الله خلق الحيوان الأعجمى لنرى بعض نفوسنا الامارة فى طبع من طباعه ، فهذا الخنزير القذر الشهوى يحاكيه بعض الناس فى طباعه فتحركهم غرائزهم السفلى ويحرصون على تلبية رغباتهم واشباع نهمهم دون رادع من ضمير أو قيم أو أخلاق وربما يرتكبون الفواحش ويخصون عليها لالشىء الا للشهوات المرضية الغالبة على نفوسهم ..

ويفقد الانسان حلمه أحيانا ويتخذ من طباع الكلب المسعور قدوة له ، فتراه دائما عضويا عدوانيا اذا حملت عليه يلهث حنقا وغضبا ، واذا تركته يصيح حنقا وغضبا ...

واذا كان للحيوان الأعجمى طبعا غالبا عليه يوصف به ويعد من طباعه الملازمة له مدى الحياة ، فان الانسان بخلاف ذلك فانه يمكن أن يجمع بين خنزيرية الشهوة وغضبة الكلب وخيانة القط وجبن الارنب وخديعة الثعلب ووضاعة الذئب وعدوانية النمر ..

فالانسان يمكن أن يحمل هذه الأوصاف والصفات فيكون

شريرا وشره يتجاوز حدود الحيوان الاعجمى وقدراته ، فيبــدو أشد ضراوة وشراسة من أقــوى وأكثــر الحيــوانات عدوانيــة وقســوة ...

وقد يتصف الانسان ببعض خصال الحيوان الاعجمى وليس كلها ومثله فى ذلك مثل المــرأة التى تتصف بالجمــال لكن فى جسمها أو وجهها عيب خلقى فيفسد جمالها ، وكلما كان العيب واضحا كلما هبط بمستوى الجمــال فيها ..

وكذلــك الأخلاق الانســانية فاذا زادت نقــائص الانسان الأخلاقية كلما اتصف بالشر ، وأصبحت الرذائل طبعا ملازمــا له ، وكلما زادت محــاسنه الأخــلاقية كلما قرن بمكـــارم الأخـــلاق ...

فالانسان الجاهل له عيوب ونقائص يمكن أن تزداد فيصبح شهوانيا كما يمكن أن تعالج فتتحسن طبـــاعه فيصبح عالمــا ، وكذلك الشهوانى يمكن أن تتراكم نقـــائصه وتزداد عيــوبه فيصبح منحرفا وهو أخطر من الجاهل والشهوى جميعا كما يمكن أن يتــوب ويرجع عن شهوانيتــه ويصبح انساناً ســوياً ، فاذا لم يحاول المنحرف ذلك وبقى على انحــرافه وظلم نفسه وصــل آخر الأمر الى أن يكون شريرا وهو الذى أصبح عدواً لنفســـه وغيره والمجتمع جميعاً ..

لكن الانسان مع ذلك يختلف عن الحيوان الأعجمى رغم أنه يحاكيه أحياناً وذلك لمرض فى نفسه وقسوة فى قلبه وعمى فى

بصيرته ، اذا يستطيع الانسان اذا تخلق بأخلاق الكمل واقتدى بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأطاع الله ورسوله فنهى عما نهى عنه وأمر به تعالى ، يستطيع الانسان أن يصبح ربانيا فتتسم أخلاقه بأخلاق الصحابة والتابعين وتابع التابعين فى الاخلاص والطهارة والعفة والامانة والصدق والصفح الجميل والايثار والمرؤة والعمل الصالح ٠٠ وتبتعد نفسه عن محاكاة الحيوان الأعجمى وأوصافه المذمومة وصفاته الذميمة ، ويتحلى بديلا عنها بالأوصاف المحمودة والصفات الكريمة ، ويجلو عن قلبه شوائب العصيان ويمسح عن نفسه كل صنوف البغى والعدوان ، ويرتفع الى مقام عال يسبق فيه بمشيئة الله ومنته ونعمه أخلاق الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام من قبل ٠

الانسان يمكن أن يهبط الى أسفل سافلين اذا اتبع هواه وظلم نفسه وقادته شهواته الى محاكاة الأعجمى فى سلوكه وطباعه ٠٠

والانسان يمكن أن يصعد الى مقام مكين ويتصف بأنه حقا وصدقا فى أحسن تقويم اذا غلب شهواته وخالف هوى نفسه وأطاع الله ورسوله فأصبح نقياً تقياً ورعا ٠

الانسان بين الرحمة والعذاب !!

لو نفكر الانسان فى نعم الله عليه ، ماتملكه اليأس والقنوط ، ولعلم ان الله تعالى حلقه ليسعى وأوجده للخير ٠٠ وأن المعصية دليل على الجحود ونكران النعمة والخيرات .

لولا الله ما وجد الانسان ، وماكان شيئا مذكورا ، ولقد أنعم الله تعالى بكريم جوده وعظيم سخائه بالوجود لبنى آدم : فخلقه على أحسن صورة وأتم تقويم ، وأسبغ عليه من واسع رحمته الخير العميم والتلطف والنعيم مالم تحط به المخلوقات الأخرى :

يقول تعالى للانسان :

« وقد خلقتك ولم تك شيئا »

(سورة مريم:١٩)

ولايعرف قدر ذلك التفضل الالهى فى خلق الانسان الا العلماء وحدهم ، فان فى حياة الانسان لذة وحلاوة ، وفى موته ألم للنفوس وحزن وارتياع وجزع ٠٠

والدليل على ذلك أن الانسان يخاف الموت الذى يتوهمه عدما ، ويرهب الخطر الذى يظنه نذيرا له ، ويهرب من المخاطرة بحياته خشية الوفاة ٠

وأحيانا يوصف القاء النفس الى التهلكة تهوراً وحمقاً وطيشا اذا لم يكن الامر جهادا للدفاع عن الدين أو الوطن او العــرض ٠٠٠ لكنه يعد القاعد عن الدفاع عن دينــه وعرضه ووطنـــه جبانا ذليلا مستذلا ٠٠ فالأمر يحتاج الى وسط عدل يتحقق بــه الخير الفاضل للانسان ، ولايمكن أن يزن الانسان نفسه بنفسه هذا الامر بميزان صدق وحق ، ويخفق العقل وحده فى اصدار الحكم المناسب الرشيد فى موقف يحتاج فيه الانسان الى المخاطرة بحيـــاته ٠٠

فالانسان ربمــا يجبن فى ذلك الموقف الذى يحتـــاج الى الشجاعة والاقدام وقد استشار عقله ، وكما أنه ربما يتهور فى موقف يحتاج الى الحكمة والسداد ، وقد تسلط عليه غضبه أو شهوة الانتقام ، فالفيصل فى الأمر هنا هو حكم الله وهو القمين ان يصله بالخير العميم الذى ينفعه فى الدنيا والأخرة ٠

لكن الانسان يخاف الموت ويخشى الهــلاك ، فكيف يستقيم ذلك مع تهوره احيـــانا ونزوعه الى طلب الموت والمخـــاطرة بحيـــاته ٠٠ ؟!

لقد سبق القول أن الانسان اذا استشار نفسه ربما يجبن على مواجهة الأخطار طلباً للذة وحفــاظاً على وجودها ، فلمــاذا تنزع النفس احيانا الى طلب الموت وهى كارهة له فزعة منه ٠٠

يبدو ان فى الامر سراً لم نكتشفه بعد ، الا أننا اذا تأملنا

حال الانسان نجده ينــزع الى طلب المــوت فى مواقف متعــددة تحتاج منا الى التصنيف :

الموقف الأول : وهو نزوع النفس الى الجهاد وهى كارهــة له ، لكن امتثالا لأمر الله ، والجهاد يتضمن الدفاع عن العــرض والنفس والحــق والــدين ... وهو موقــف شرعى تقتضيــه الاستقامة والطاعة لله ، فان لم يسلك الانسان هذا السلوك يعد جبانا ضعيفا متقاعسا مستذلا ..

الموقف الثانى : وهو نزوع من قبــل النفس دون روية او تفكر أو تدبر لشهوة الانتقـــام دون عرض الامر على حكمــة التشريع ، فتتخذ قرارا غضبيا وتنفذه ، وبذلك تتعرض للموت عن وعى أو بلا وعى وقد تملكها الغضب وشهوة الانتقام ، وينتج عن ذلك الموت المحقق او تعرضها للقصاص الذى غالبا مايكون اقامة حد القتــل ..

الموقف الثالث : ويتلخص فى موقف اليــأس والقنــوط ، فيقدم الانسان على الموت تخلصا مما يظن أنه يطـــارده أو فى البلاء الذى يتصور أنه لامفـــر منه ، أو شعــوره بالظلم وان الآخرين يناصبونه العداء او أنه لا أمل فى حياته ..

وهذا الأمر فى الغالب ضد الطبيعة الانسانية ، التى تخاف الموت وتألم منه وتحزن ان تفارق الحياة التى تشعر بلذتهـــا وحلاوتها مهما كان فيها من مصاعب وابتلاءات ..

والموقف الأخير لايقــدم عليه الا يئــوس من رحمة الله ، جاهل بنعمه تعالى عليه ، ناكر لفضل الله وتفضله عليه بالايجاد والخلق .. فلو تأمل ذلك المقــــدم على قتل نفسه حكمــة الله البالغة فى خلقه وأياته التامات فى ايجاده ، ماأقدم على هــــذه الفعلة الشنعاء ، ولعرف ان الابتلاءات التى يمر بها هى نــوع من الامتحانات والاختبارات التى يجريها الله لعباده ، فلو صبر عليها ودعا الله تعالى ليخفف عنه مابه لاستجـــاب لدعائه ومن عليه بواسع رحمته وعظيم فضله ، والله يحب من عبده أن يذكره ويدعوه . والله يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، يقول عز من قائل:

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعــان »

اما اليائسون من رحمة الله فهم المتكبرون الكافرون بأنعم الله ، ولذلك سدت امامهم السبل ولم يعــد لهم ملجا من الله الا اليه . فلما يأسوا وقنطــوا من رحمته ، خلعــوا حلة وجودهم بأيديهم عنادا وشركا ، وماتوا وقد ظلموا انفسهم ، وانحرفوا عن الفطرة السليمة التى فطرهم الله عليها ، وفقدوا العقـــل الرشيد الذى أودعه الله أمانته عندهم .

وأما الموقف الثانى وهو ذلك الذى يقدم بغضبه وشــهوته على القتل تهورا وطيشا مع علمه بمصــيره اذا أقدم على هــذه

الجريمة الشنعاء ، فانه أحد شخصين أولهما جاهل وشهوى وغافل ، قد تسلطت قوى الشهوة والغضب فى نفسه فأقدم على ارتكاب جريمته دون واعظ من قلب أو زاجر من ضمير ، وربما ندم بعد فعلته أو ظل على هواه ·· لكنه بعدما يقترف جريمته يخاف الموت ويخشى القصاص ويأمل فى الحياة ··

وأما الشخص الاخر الذى يرتكب جريمة القتل الشنعاء فهو اكثر عتوا وظلما وشركا وهو ذلك المنحرف الشرير الذى يخطط للشر ويرتكب جريمته بتدبير واصرار يقتل وهو سعيد بذلك ويلتذ عندما يشرب من دماء ضحيته وكأنه يلعب لعبة خطرة ·· وهذا المجرم قاس القلب ، فقلبه كالحجارة أو أشد قسوة ، يكره الناس والعباد ويظن أن الخير هو الشر والشر هو الخير ، فقيمه ومفاهيمه وافكاره منحرفة ، لا أمل فى اصلاحه إلا اذا اسبغ الله عليه برحمته فتاب توبة نصوح ·

يبقى الموقف الأول وهو موقف الجهاد رغم الخطر الذى يمكن ان يترتب عليه مواجهة الموت ، والمجاهد هنا بين موقفين : حب النفس وعدم قبول فكرة الموت ، والتمسك بالحياة التى يجد فيها لذة وخيرا ، وبين طاعة الله وطلب المثوبة عنده ، لانه يعتبر أن مداهمته للخطر ومواجهته للعدو هو طاعة لله ، فان مات فهو شهيد وان عاش فان الله سيجازيه خير الجزاء ··

هناك بون كبير اذن بين موقف اليائس الذى يقدم على

الانتحار ، وبين موقف المجـــاهد الذى يواجه الموت طاعة لله ، فالأول لايعد شجاعا بل جبـــانا لأنه هرب بنفسه في مواجهــة الحياة وفضل الموت عندما توهم أن الحياة قصرت عن اشـــباع حاجاته وتحقيق متطلباته وتلبية أمانيه ..

ولو تفكر ذلك الهارب من نعم الله قليــلا ، لوجد نعم الله الظاهرة والباطنة ، لو أطفأ المصباح فى ليل دامس ومشى فى حلكة الظلام يتفقد شيئا فانه سيطول به البحث ولن يجده .. فما أجدر به ان يذكر فى تلك اللحظة نعمة الله عليه ، وانـــه وهبه عينين ليبصر بهما ، ولو تفكر قليلا ان حبس صوته لحظة لعلم اى نعمة انعم الله بها عليه باللسان والكلام ..

لكن الانسان ينسى ويتغافل عن نعم الله عليه ولايعلم تلك النعم الا اذ افتقر اليها او حرمها الله منه ، وكأن هذه النعـــم من حقه على الله ،وانه يستحقها لعلم عنده بدون الله ، فـــاذا ماضاعت منه بعض هذه النعم يئس وقنط من رحمة الله واصبح ملولا حقــودا هلــوكا .. ثم غالبــا مايقدم على هذه الفعلــة الشــــنعاء ...

اما المجاهد فانه يتقدم الى مواجهة الموت فى شجاعة الاسود وفى حكمة الشـيوخ وفى قوة البطــل الجسور ، قلبــه مع الله ونفسه تسير فى طريق الاستقامة والعدل ، وعقله رشيد مستنير يعلم ان مات فان هناك حياة اخروية افضل وابقى وان هنــاك

فى تلك الدار سيلتقى بالاخيار والابرار وانه سيعيش ناعمـا منعما فى جنات ونعيم وان الله تعالى سيسبغ عليه من فضلـه خـيرا عظيمـا ..

فاى طريق اجمل من طريق المجاهدة ، وأى طريق أوحش من طريق الهوى والطيش ..

احدهما يؤدى الى ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشر ، والآخر يهوى بالانسان الى نار وسعير وعـذاب للجسم والنفس مقيم ...

هذا طريق الرحمة ، وهذا طريق العـذاب ..

تم بحمد الله تعالى

الفهرســت

قضايا اسلامية :

الذين ينكرون القــدوة ...

تابع الفهرس

تم بحمد الله

مطبعة التقدم
عبد القادر محمد التونى
٨٠٦٠٥٤
٢١ ش سيزوستريس

